سيغموند فرويد

مدخل الى التحليل النفسي



ترجمة :

جورج طرابيشي

دار الطليعة - بيروت

مدخل إلى

التحليل النفسي

بيروت ـ لبنان
ص.ب. ١١١٨١٣
تلفون ٣٠٩٤٧٠
٣١٤٦٥٩
فاكس ٣٠٩٤٧٠

الطبعة الأولى: ايار (مايو) ١٩٨٠
الطبعة الثانية: نيسان (ابريل) ١٩٨٢
الطبعة الثالثة: آذار (مارس) ١٩٩٥

سيغموند فرويد

مدخل إلى التحليل النفسيّ

ترجمة:
جُورْج طرابيشي

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

هذه ترجمة كتاب

Introduction A La Psychanalyse

Première Partie
Les Actes Manqués

Par
Sigmund Freud

Petite Bibliothèque Payot

Paris 1962

تقـــديم

في الفصلين الدراسيين من شتاء ١٩١٥ ـ ١٩١٦ وشتـــاء ١٩١٦ ـ ١٩١٧ ، وتحت عنوان **محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي** ، القى فرويد في احد مدرجات عيادة الطب العقلي فـــي جامعة فيينا ثماني وعشرين محاضرة في ثلاث مجموعات ، حضرها اطباء وطلاب طب ومستمعون من سائر الكليات الاخرى .

وقد ارتجل محاضرات الفصل الاول ارتجالا ، اما محاضرات الفصل الثاني فقد كتبها في اثناء اصطيافه في سالزبورغ ، ثـم القاها بنصها في الشتاء التالي .

وبعد ذلك بخمسة عشر عاما ، وتحديدا في صيف ١٩٣٢ ، كتب فرويد مجموعة رابعة من سبع محاضرات تخيل وكأنه يلقيها على المستمعين انفسهم ، ولكنه في الواقع لم يلقها لانه كان قـد بات عاجزا عن المحاضرة في الجمهور بعد اجراء عملية جراحية له لاستئصال سرطان في الفك . وقد جعل فرويد عنوان هـــذه المحاضرات الوهمية السبع **محاضرات تمهيدية جديدة فـــي**

التحليل النفسي .

هذه المحاضرات الخمس والثلاثون ، التي تؤلف كلا متكاملا وتحتوي على أوفى خلاصة للتحليل النفسي بقلم مبدعه ، تنقسم في الواقع ، ومن حيث خطتها وبناؤها ، الى أقسام اربعة متمايزة :

١ ــ **مدخل الى التحليل النفسي** ، ويتألف من محاضرة مدخلية ، ومن ثلاث محاضرات حول علم نفس الهفوات .

٢ ــ **نظرية الحلم** ، ويتألف من احدى عشرة محاضرة تعرض لنظرية الحلم واواليته ورمزيته وتفسيره ووظيفته .

٣ ــ **النظرية العامة للامراض العصابية** ، ويتألف من ثلاث عشرة محاضرة تتناول الفارق بين الطب العقلي والتحليل النفسي، وتعرض لنظرية العصاب واوالية تكوين أعراض الامراض النفسية وطريقة معالجتها .

٤ ــ **محاضرات جديدة في التحليل النفسي** ، وهي المحاضرات السبع التي كتبت ولم تلق ، وهي تكمل محاضرات ١٩١٥ ــ ١٩١٧ وتستوفي بعض نواقصها وتخص ما استجد من تطور في النظرية والتقنية التحليلية النفسية خلال الخمسة عشر عاما المنصرمة .

هذا التقسيم الرباعي للمحاضرات الخمس والثلاثين هو ما سنتقيد به في نشرنا ترجمتها العربية تباعا في مجلدات اربعة ، وذلك حتى لا نثقل على القارىء بنشرها في مجلد واحد ينيف عدد صفحاته على الثمانمئة .

١ــ٣ــ١٩٨٠

ج . ط

المحاضرة الاولى

تمهيد

لست ادري مبلغ ما تناهى الى علمكم من امر التحليل النفسي عن طريق مطالعاتكم او بالسماع . لكن عنـــوان هذه المحاضرات بالذات : **مدخل الى التحليل النفسي** ، يلزمني بأن أتناول الموضوع كما لو انكم بحاجة الى الإلمام بعناصره الاولى .

على انه لا مناص لي من الافتراض بأنكم تعرفون ان التحليل النفسي طريقة في المعالجة الطبيـــة للاشخاص المصابين بأمراض عصبية . فاذا ما سلمنا بذلك، امكنني للحال ان أبيّن لكم من خلال مثال محدد ان الامور لا تسير هنا مسراها في سائر فروع الطب، هذا ان لم نقل انها تسلك اتجاها معاكسا . فلقد جرت العادة بنا، حين نعالج مريضا من المرضى بتقنية طبية جديدة ، هو بها جاهل ، أن نهوّن من محاذيرها واخطارها في نظره وان نؤكد له ، مـــا

وسعنا ، حتمية نجاح المعالجة . واعتقد انه من الحق سلوك هذا المسلك ، فبه تزداد فعلا فرص النجاح . لكننا نسلك غير هـــذا السبيل حين نستخدم التحليل النفسي في معالجة العصابي . فنحن نطلعه في هذه الحال على صعوبات هذه الطريقة وما تقتضيه من زمن وجهود وتضحيات ؛ أما عن النتيجة ، فنقول انه لا يسعنا ان نقطع له بوعد ، وانها مرهونة بمسلك المريض نفسه وبذكائــه وصبره وإذعانه لما يطلب منه . وغني عن البيان ان ثمة اسبابـــا وجيهة ـ قد تدركون اهميتها لاحقا ـ تملي علينا سلوك هـــذا المسلك غير المألوف .

واني لأستميحكم عذرا ان بدات بمعاملتكم معاملتي لأولئـــك المرضى العصابيين . ونصيحتي اليكم الا تأتوا للاستماع إليّ مرة اخرى . ولهذا بالتحديد سأبيّن لكم كل ما يشوب تعليم التحليل النفسي بالضرورة من نواقص وعيوب ، وكل الصعاب التي تعترض سبيل من يبغي تكوين حكم شخصي في هذا الموضوع . سأبيّن لكم ان ثقافتكم السابقة كلها وان طرائقكم في التفكير قد جعلت منكم ولا بد خصوما للتحليل النفسي ، وسأوضح لكم ما ينبغي ان تقهروه في انفسكم كيما تتغلبوا على هذا العــداء الفريزي . ولا يسعني بالطبع ان اتنبأ لكم بما ستفيدونه من محاضراتي هذه من منظور فهم التحليل النفسي واستيعابه ، غير اني استطيع بكل تأكيد ان أعدكم بأن حضوركم هذه المحاضرات لن يكون كافيـــا لتكسبوا المقدرة على القيام ببحث او بعلاج تحليلي نفسي . وان يكن بينكم من لا يقنع بمعرفة سطحية بالتحليل النفسي ، ومن قد تسول له نفسه ان يعقد واياه صلة دائمة ، فلن أمتنع عن تشجيعه على ذلك فحسب ، بل سأحذره بصورة مباشرة من محاولة كهذه. ذلك ان من يخص باختياره هذه المهنة ، في الظروف الحاضرة ، يكون قد قضى على كل فرصة له في النجاح الجامعي ، وسيجد نفسه ، بصفته طبيبا ممارسا ، وسط معشر لا يفهمون مقاصده، فيسيئون به الظن ، وينظرون اليه بعين الريبة والعداء ، وقد لا

يترددون في ان يطلقوا ضده كل الارواح الشريرة التي يختزنونها في قمقم انفسهم . ولعله يسعكم أن تكوّنوا صورة تقريبية عن عدد هذه الارواح الشريرة بمجرد تفكيركم بما يواكب هذه الحرب من وقائع (١) .

ومع ذلك ، فان من الناس من ينجذب الى كل معرفة جديدة، رغم كل المحاذير التي المعت اليها . فان كان بينكم من ينتمي الى هذهالفئة منالناس ويرغب في القدوم الىهذا المكان ثانية، من دون ان تثبّط تحذيراتي هذه عزيمته ، فأهلا به ومرحبا . لكن من حقكم جميعا ان تحيطوا علما بالصعاب التي تكتنف التحليل النفسي والتي سأعرضها فيما يلي .

تتصل الصعوبة الاولى بطريقة تعليم التحليل النفسي بالذات. فقد اعتدتم ، في دراستكم الطب ، ان تروا وتعاينوا . فأنتم تنظرون النماذج التشريحية ، وترسبات التفاعلات الكيمياوية ، وتقلص العضلة بفعل تنبيه اعصابها . وفي وقت لاحق تتصلون مباشرة بالمريض ، وتتقرون أعراض دائه ، وتتلمسون عقابيل مرضه ، بل كثيرا ما توضع تحت انظاركم مباشرة ، في حالة منعزلة ، الجرثومة التي تسببت بالمرض . ومن اختص منكم بالجراحة ، حضر العمليات التي تجرى للمريض ، وقد يتوجب عليه ايضا ان يحاول القيام بها بنفسه . وحتى في طب الامراض العقلية ، يمدكم مرأى المريض ، بما يطرأ على سحنته من تقلبات وبما يصدر عنه في كلامه وسلوكه ، بجملة من الملاحظات التي تترك في نفوسكم انطباعا عميقا ودائما . على هذا النحو يؤدي مدرّس الطب دور مرشد وترجمان ويرافقكم كما لو عبر متحف

---

١ ـ يقصد الحرب العالمية الاولى ، اذ ان فرويد القى محاضرته هذه في شتاء ١٩١٥ . ـ م ـ

من المتاحف، فيما انتم تتصلون اتصالا مباشرا بالاشياء وتتصورون انكم اكتسبتم ، بخبرتكم الشخصية، اليقين بوجود الوقائع الجديدة .

من سوء الحظ ان الامور تجري غير هذا المجرى في التحليل النفسي . فالمعالجة التحليلية النفسية لا تشتمل الا على تبادل كلام بين المحلّل والطبيب . اذ يتكلم المريض ، ويروي احداث حياته الماضية وانطباعاته الحاضرة ، ويتشكى ، ويعترف برغائبه وانفعالاته . ويسعى الطبيب الى توجيه مسار افكار المريض ، ويوقظ ذكرياته ، ويوجه انتباهه في وجهة معينة ، ويقدم له تفسيرات ، ويرصد ما يثيره على هذا النحو لدى المريض من ردود فعل تنمّ عن فهم او عدم فهم . ثم ان اهل مرضانا وأقاربهم ، وهم من غير اهل الاختصاص، لا يصدقون الا ما هو منظور وملموس، ولا يقتنعون الا بمثل المشاهد التي تتوالى على شاشة آلة العرض السينمائي ، ولا يمسكون عن ابداء تشككهم في نجع طريقة العلاج التي لا تعدو ان تكون محض «كلام بكلام» . وهذا النقد لامنطقي ولا ينمّ عن نباهة . أفليس هؤلاء الناس هم انفسهم من يعلمون علم اليقين ان المرضى «يتخيلون» ، ليس الا ، انهم عرضة لما ينتابهم من أعراض ؟ لقد كانت الكلمات في الاصل تدخل في عداد السحر ، ولا تزال الكلمة تحتفظ الى يومنا هذا بقدر كبير من قوتها السحرية الماضية . فبالكلمات يستطيع المرء ان يسعد نظيره او ان يدفع به الى هوة اليأس ، وبالكلمات ينقل المعلم علمه الى تلاميذه ، وبها يستحوذ الخطيب على الباب سامعيه ويوجه أحكامهم وقراراتهم . وتثير الكلمات انفعالات، وهي للناس الوسيلة العامة للتأثير في بعضهم بعضا . فلنحاذر اذن ان ننتقص من القيمة التي يمكن ان تكون لاستخدام الكلام في التطبيب النفسي ، ولنعرف كيف نعير آذانا صاغية لما يدور من كلام بين المحلّل والمريض .

لكن ذلك ليس متاحا لنا على كل حال . فالتحادث الذي على

اساسه يقوم التحليل النفسي لا يتحمل وجود سامعين ، ولا يصلح للتمثيل امام شهود . صحيح اننا نستطيع ان نعرض على تلاميذنا، في اثناء درس في الطب العقلي ، مريضا بالنوراستينيا او مصابا بالهستيريا ، فيفصح امامهم عما يشكو منه ويسرد تفاصيل اعراضه . لكن ذلك سيكون كل شيء . اما المعلومات التي يحتاجها المحلّل فلن يفضي بها المريض الا اذا ساوره ازاء الطبيب شعور بعاطفة خاصة ؛ لكنه سيلزم الصمت اذا ما آنس وجود شاهد واحد لا يأبه له . وآية ذلك ان هذه المعلومات تتصل بأخص حياة المريض النفسية ، بكل ما يتوجب عليه ، بصفته شخصا اجتماعيا مستقلا بذاته ، ان يخفيه عن الآخرين ، وأخيرا بكل ما لا يريد الاقرار به حتى بينه وبين نفسه ، بوصفه شخصا يعي وحدته .

يتعذر عليكم اذن ان تحضروا كمستمعين جلسة للمعالجة التحليلية النفسية . وكل ما يسعكم هو الاستماع الى ما يقال عنها ، ولن يكون في مستطاعكم ان تعرفوا التحليل النفسي الا سماعا ليس الا . وتعذر حصولكم على معلومات الا بطريق غير مباشر يضعكم في شروط غير مألوفة لتكوين حكم . اذ سيكون كل شيء رهنا الى حد بعيد بمدى الثقة التي يوحي بها اليكم من يزودكم بالمعلومات .

تخيلوا لهنيهة من الزمن انكم تستمعون ، لا الى محاضرة في الطب العقلي ، بل الى محاضرة في التاريخ ، وان المحاضر يحدثكم عن حياة الاسكندر الاكبر وفتوحاته. فما الاسباب التي ستحملكم، والحالة هذه ، على تصديق صحة ما يرويه ؟ للوهلة الاولى ، يبدو ان الوضع اشد حرجا مما في التحليل النفسي ، على اعتبار ان استاذ التاريخ لم يشارك ، مثله مثلكم ، في حملات الاسكندر ، بينما يحدثكم المحلّل النفسي على كل حال عن وقائع لعب فيها هو نفسه دورا . لكن هنا يطرأ عامل يوجب عليكم محض المؤرخ ثقتكم . اذ يسعه ان يحيلكم الى روايات قدامى الكتّاب ، ممن عاصروا الاحداث المشار اليها ، او كانوا قرابا اليها في الزمن ،

اي الى كتب بلوتارخوس [٢] وديودورس [٣] واريانس [٤] ، الخ ؛ كما يسعه أن يعرض عليكم نسخا من النقود او من تماثيل الملك ، وصورة فوتوغرافية لفسيفساء مدينة بومباي التي تمثل موقعة ايسوس [٥] . والحق أن هذه الوثائق جميعها تثبت فقط ان أجيالا سابقة قد آمنت بوجود الاسكندر وبحقيقة فتوحاته ، وهذه مسألة قد تكون لكم بمثابة منطلق جديد الى ممارسة نقدكم . اذ قد تجدون في انفسكم ميلا الى الاستنتاج بأن كل ما روي عن الاسكندر ليس اهلا للتصديق او انه لا يمكن القطع بيقين بصدد تفاصيله كافة ؛ ومع ذلك لا أتصوركم مغادرين قاعة المحاضرات وانتم تشكون في ان الاسكندر الاكبر قد وجد فعلا وواقعا . وقراركم سيعيِّنه اعتباران رئيسيان : أولهما ان المحاضر ليس لديه من سبب معقول يحمله على اقناعكم بواقعية شيء لا يؤمن هو نفسه بواقعيته ، وثانيهما ان جميع كتب التاريخ التي بين أيدينا تعرض الاحداث عرضا شبه متطابق . فاذا تنطعتم بعد ذلك لتمحيص أقدم المراجع ، اخذتم باعتباركم العاملين نفسيهما ، أعني الدوافع التي أملت على الكتّاب ما كتبوه ، وتوافق شهاداتهم .

---

٢ ـ بلوتارخوس : كاتب اغريقي (نحو ٥٠ ـ ١٢٥) ، عاش في روما وجال في الشرق ، كتب كتبا كثيرة ، ومن اشهرها **سير العظماء** . ـم ـ

٣ ـ ديودورس الصقلي : مؤرخ اغريقي من القرن الاول ق.م ، مؤلف **المكتبة التاريخية** ، وفيها يسرد وقائع التاريخ منذ العصور السحيقة وانتهاء بالعام ٦٠ ق.م. ـم ـ

٤ ـ فلافيوس أريانس : مؤرخ اغريقي من القرن الثاني ب.م ، له كتاب تاريخي عن الاسكندر المقدوني . ـم ـ

٥ ـ ايسوس : مدينة قديمة في آسيا الصغرى في كيليكيا، قهر الاسكندر فيها داريوس الثالث سنة ٣٣٣ ق.م. ـم ـ

وفي حالة الاسكندر ستكون نتيجة الامتحان ايجابية بكل تأكيد ، لكنها قد لا تكون كذلك في حالات غيره من الشخصيات من امثال موسى او نمرود (٦) . أما مدى الثقة التي يستأهلها تقرير محلّل من المحللين النفسيين ، فستتاح لكم لاحقا اكثر من فرصة لتبرير الشكوك التي قد تساوركم بهذا الخصوص .

من حقكم الان ان تسألوني : اذا لم يكن ثمة من معيار موضوعي للفصل في صحة ما يقوله التحليل النفسي ، واذا لم يكن ثمة من امكانية لاتخاذه موضوعا للتجريب ، فكيف السبيل الى تعلم التحليل النفسي والتحقق من صحة مدّعاه ؟ بالفعل ، ما هذا التعلم بسهل ، وقليلون هم من تعلموا التحليل النفسي بصورة منتظمة ، لكن هذا لا يعني انه ليس ثمة من سبل ومداخل الى هذا التعلم . فالمرء يتعلم التحليل النفسي اولا بتطبيقه على نفسه ، وبدراسته شخصيته الخاصة . وليس هذا على وجه الدقة ما يسمى بالتأمل الذاتي ، ولكننا نستطيع عند الاقتضاء ان نرد اليه الدراسة التي نحن بصدد الكلام عنها . وثمة طائفة من ظاهرات نفسية متواترة ومعروفة للكثرة يمكن ان تتخذ موضوعا لتحليل الذات متى ما عرف الانسان شيئا عن أواليتها . وعن هذا السبيل يتأتى له ان يظفر بالاقتناع المنشود بحقيقة السيرورات التي يصفها التحليل النفسي وبصحة تصوراته . غير انه يجدر بنا التنويه بأنه ليس للانسان ان يتوقع ، اذا ما سلك هذا السبيل، احراز تقدم كبير . بل هو سيحرز تقدما اكبر بكثير فيما لو وضع نفسه تحت تصرف محلّل كفؤ ليقوم بتحليله ، وفيما لو رصد في

---

٦ ـ نمرود : ملك خرافي تأتي بذكره كثرة من الاساطير العربية والفارسية التي تجعل منه مؤسس مملكة بابل ، ويعرفه سفر التكوين بأنه ابن كوش بن حام . ـم ـ

اناه بالذات اثر التحليل النفسي واهتبل هذه الفرصة ليستوعب تقنية هذه الطريقة بجميع دقائقها . وغني عن البيان ان هذا النهج الممتاز لا يمكن لغير شخص واحد ان ينهجه ، فلا سبيل الـــى تطبيقه على جمع من الناس .

اما الصعوبة الثانية التي تعترض سبيلكم الى التحليل النفسي فلا تتصل به بقدر ما تتصل بكم ، انتم انفسكم ، بحكم دراساتكم الطبية السالفة . فالتعليم الذي تلقيتموه حتى الان وجّه فكركم في اتجاه معين يباعد الشقة كثيرا بينكم وبين التحليل النفسي . فقد عودوكم على عزو علل تشريحيـــة الى وظائف الجســـم واضطراباتها ، وعلى تفسيرها على ضوء الكيميــاء والفيزياء ، وعلى تصورها من المنظور البيولوجي ، ولم يوجهوا اهتمامكم قط الى الحياة النفسية التي فيها يبلغ أداء جسمنـــا ـ العجيب التعقيد ـ لوظائفه أوجه وذروته . ولهذا انقطعت الاسباب بينكم وبين الطريقة السيكولوجية في التفكير ، ولهذا ايضا درجتم على النظر الى هذه الطريقة بعين الريبة ، فأنكرتم عليها كل صفـــة علمية وتركتم امرها لغير اهل العلم وللشعراء وفلاسفة الطبيعـة والمتصوفة . وهذا الانحداد ضار بكل تأكيد بمهنتكم الطبية ، لان المريض يعرض عليكم ، اول ما يعرض ، كما هي الحال في جميع العلائق الانسانية ، واجهته النفسية ، واني لأخشى ان تكـــون عاقبة ذلك اضطراركم لان تذروا لغـــير اهـــل العلم وللمبرئين والمتصوفة ، الذين لا تنظرون اليهم الا بعين الازدراء ، جانبا غير هيّن من التأثير العلاجي الذي تسعون الى ممارسته .

لست اجهل الاسباب التي قد تساق لتبرير هذه الثغرة في تدريسكم . ولئن ما زال يعوزنا شيء فهو ذلك العلم الفلسفـــي المساعد الذي يمكن ان يعينكم على تحقيق الغايات التي ترسمها مهنة الطب . فلا الفلسفة التأملية ، ولا علم النفس الوصفي ، ولا علم النفس المسمى بالتجريبي وذو الصلة بفيزيولوجيا الحواس ،

لا شيء من هذه جميعها ، كما تدرّس في المدارس ، حقيق بأن يمدكم بمعطيات مفيدة حول العلاقات بين الجسم والنفس وقمين بأن يهديكم الى طريق فهم اضطراب من الاضطرابات النفسية . صحيح ان طب الامراض العقلية يهتم ، في اطار الطب بالذات ، بوصف الاضطرابات النفسية التي يرصدها ، وبجمعها في لوحات سريرية ، لكن اطباء الامراض العقلية انفسهم يتساءلون في لحظات صفوهم عما اذا كانت تصانيفهم الوصفية البحتة جديرة باسم العلم . اننا لا نعرف لا اصل الاعراض التي تتألف منها تلك الجداول التصنيفية ، ولا أواليتها ، ولا روابطها المتبادلة ؛ وليس ثمة من علاقة يمكن البرهنة عليها بينها وبين اي تبدل يطرأ على جهاز النفس التشريحي (٧) ؛ وأما التغيرات التي يتذرع بها فهي لا تقدم اي تفسير للاعراض . والحق ان هذه الاضطرابات النفسية لا تخضع لأي مجهود علاجي الا بقدر ما تؤلف فقط نتائج ثانوية لاصابة عضوية ما .

ان هذه لثغرة يسعى التحليل النفسي الى ردمها . فهو يريد ان يوفر لطب الامراض العقلية الاساس السيكولوجي الذي يفتقر اليه ، ويأمل ان يكتشف المضمار المشترك الكفيل بتعليل الترابط بين الاضطراب البدني والاضطراب النفسي . وتوصلا الى هذا الهدف ، عليه ان يبتعد عن كل مسلّمة ذات صفة تشريحية او كيمياوية او فيزيولوجية ، والا يعوّل في عمله الا على مفاهيم سيكولوجية بحتة . ولهذا تحديدا اخشى ان يبدو لكم لاول وهلة غريبا .

اخيرا ثمة صعوبة ثالثة لن ألقي تبعتها لا عليكم ولا على تدريسكم السابق . ذلك ان من جملة مقدمات التحليل النفسي

---

٧ ـ يقصد المخ . ـ م ـ

مقدمتين تثيران سخط الناس اجمعين وتجلب عليه الاستنكار العام : مقدمة تصطدم بحكم مسبق فكري ، واخرى بحكم مسبق جمالي ـ اخلاقي . ولنحاذر الاستهانة بهذه الاحكام المسبقة : فهي على جانب من القوة ، وقد تخلفت عن أطوار مفيدة ، بله ضرورية، من تطور البشرية . وهي ترتكز الى قوى وجدانية ، والنضال ضدها صعب وشاق .

ان السيرورات النفسية ، بموجب أولى مقدمتي التحليل النفسي المثيرتين للاستهجان ، هي في جوهرها لاشعورية ؛ وأما الشعورية منها فلا تعدو ان تكون أفعالا منعزلة ، شذرات من الحياة النفسية الشاملة . وعليكم ان تتذكروا هنا اننا درجنا ، على العكس ، على المماهاة بين النفسي والشعوري، واننا نعتبر على وجه التعيين ان الشعور هو سمة النفسي المميزة وتعريف له ، وأن قوام علم النفس في نظرنا هو دراسة مضامين الشعور. بل ان هذه المماهاة تبدو لنا طبيعية للغاية ، حتى لنعدّ كل اعتراض عليها ضربا من العبث الذي لا طائل فيه . ومع ذلك لا يمكن للتحليل النفسي الا ان يعترض على المماهاة بين النفسي والواعي والشعور. فهو يعرّف النفسي بأنه يتألف من سيرورات تدخل ضمن نطاق الشعور والفكر والارادة؛ ولا مناص له من ان يؤكد ايضا وجود فكر لاشعوري وارادة لاشعورية. لكنه اذ يتقدم بهذا التعريف وهذا التوكيد يخسر سلفا عطف جميع اصدقاء الوقار العلمي ، ويجرّ على نفسه الشبهة بأنه محض علم باطني وخيالي يريد ان يبني في الظلام وأن يصطاد في الماء العكر . لكن لا يسعكم بعد بطبيعة الحال ان تفهموا بأي حق أطلق صفة الحكم المسبق على عبارة مجردة كتلك التي تقول ان «النفسي هو الشعوري»، كما لا يسعكم بعد ان تدركوا طبيعة الاستدلال الذي امكن له ان يفضي الى نفي اللاشعور (على فرض انه موجود) وأن تحزروا فوائد مثل هذا النفي . وقد يبدو لكم الجدل فيما اذا كانت المطابقة بين النفسي والشعوري واجبة، ام

فيما اذا كان من الضروري توسيع مدى النفسي الى ما وراء حدود الشعوري ، ضربا من السفسطة والمماحكة لا طائل فيه، لكن بوسعي ان اؤكد لكم ان الاعتراف بالسيرورات النفسية اللاشعورية يدشن اتجاها جديدا وفاصلا في العلم .

لا اخالكم ايضا تحزرون الصلة الوثيقة القائمة بين هذه الخطوة الجريئة الاولى التي خطاها التحليل النفسي وبين الخطوة التالية التي سأعرض لها الان . فالاطروحة الثانية التي يتقدم بها التحليل النفسي على انها اكتشاف من اكتشافاته تؤكد ما يلي : ان الحفزات التي يمكن وصفها بأنها محض جنسية ، بالمعنى الضيق او الواسع للكلمة ، تلعب ، بصفتها عللا محدّدة للامراض العصبية والنفسية، دورا فائق الاهمية ، لم يقدّر حتى يومنا هذا حق قدره . بل اكثر من ذلك : فالتحليل النفسي يؤكد ان هذه الميول الجنسية عينها تسهم بقسط لا يستهان به في ابداعات العقل البشري في ميادين الثقافة والفن والحياة الاجتماعية .

وبحسب خبرتي ، فان النفور الذي تثيره هذه النتيجة التي ينتهي اليها التحليل النفسي هو أهم سبب للمقاومات التي يصطدم بها . فهل لكم رغبة في معرفة كيف نفسر هذه الواقعة؟ اننا نعتقد ان الثقافة قد أبدِعت تحت ضغط الضرورات الحيوية وعلى حساب تلبية الغرائز ، وانها يعاد خلقها دوما من جديد على المنوال نفسه الى حد بعيد ، اذ يقوم كل فرد جديد يرى النور في المجتمع البشري بتكرار التضحية بغرائزه لصالح المجموع . وتحتل الميول الجنسية ، بين جملة القوى الغريزية المكبوح جماحها على هذا النحو ، مكانة بارزة ؛ فهي تُعلى وتصعَّد ، أي انها تحوّل عن هدفها الجنسي وتوجّه نحو اهداف اجتماعية اعلى لا تتصف بأية صفة جنسية . غير ان هذا التنظيم ليس بالمكين ؛ فالغرائز الجنسية يعسر ترويضها ، وكل فرد يسهم في البناء الثقافي يكون عرضة لان تتمرد غرائزه الجنسية على هذا الكبت .

ولا يرى المجتمع من خطر يهدد حضارته اعظم من خطر انعتاق الغرائز الجنسية ورجعتها الى اهدافها الاولية . لذا لا يطيب للمجتمع ان يذكّره احد بهذا الجانب الحساس من الاسس التي يقوم عليها وجوده ؛ ولا مصلحة له على الاطلاق في الاعتراف بقوة الغرائز الجنسية وفي اماطة اللثام لكل فرد عن اهمية الحياة الجنسية ؛ وقد اخذ ، على العكس ، بنهج في التربية يصرف الانتباه عن هذه الناحية . ولهذا لا يتحمل ولا يطيق تلك النتيجة التي انتهى اليها التحليل النفسي والتي نحن بصدد الكلام عنها ؛ ويبادر الى وصمها بأنها مثيرة للاشمئزاز من وجهة النظر الجمالية، وبأنها مرذولة مذمومة من وجهة النظر الاخلاقية ، علاوة على خطورتها من كل النواحي الاخرى . لكن ليس بمثل هذا التأنيب والتعنيف يمكن اسقاط النتائج الموضوعية التي ينتهي اليها البحث العلمي . وحتى يكون الاعتراض مقبولا ، فلا بد ان ينقل الى صعيد الفكر . والحال ان الطبيعة البشرية مجبولة على اعتبار ما لا تستسيغه ظلما وجورا . ومن ثم لا يشق عليها ان تجد حججا تبرر بها نفورها واشمئزازها . وعلى هذا النحو ينقلب ما هو مستكره في نظر المجتمع الى باطل ، ويحارب هذا المجتمع عينه حقائق التحليل النفسي لا بحجج منطقية وعينية ، بل بذرائع وتعلات يستقيها من معين العاطفة والهوى ، ويتشبث بهذه الاعتراضات ويشهرها أحكاما مسبقة ردا على كل من تسوّل نفسه له تفنيدها .

ويجدر بي ان الفت انتباهكم الى اننا حاذرنا الإغراض في صياغتنا هذه الاطروحة . وقد كان هدفي الاوحد ان أعرض حقيقة واقعة نتصور انه امكن لنا الاحاطة بها بعد بحث شاق ومضن . ويخيل الينا انه من واجبنا ، هذه المرة ايضا ، ان نحتج على اية محاولة لزج الاعتبارات العملية في شؤون البحث العلمي ، حتى قبل ان نتحقق مما اذا كانت تلك المخاوف التي باسمها يراد فرض

تلك الاعتبارات علينا مبررة ام لا .

تلكم هي بعض الصعاب التي قد تصطدمون بها اذا ما اردتم دراسة التحليل النفسي . ولعلها اكثر مما يطيقه مبتدىء . فان لم تتهيبوا من احتمال مواجهتها ، امكننا ان نمضي في مـــــا نحن فيه .

المحاضرة الثانية

الهفوات

لن نبدأ اليوم بفروض ، بل ببحث موضوعه جملة من ظاهرات شائعة ، متواترة ، لا تعار اهتماما كافيا ، ولا ضلع لها بالحالة المرَضية ، اذ نستطيع ان نلحظها لدى كل انسان معافى . انها الظاهرات التي سنطلق عليها اسم جنس : **الهفوات** ، والتي تحدث عندما ينطق المرء او يكتب ، عن انتباه او بدون انتباه ، كلمة غير تلك التي كان يريد ان ينطق بها او يكتبها **(زلة)** ؛ او عندما يقرأ ، في نص مطبوع او مخطوط ، كلمة غير تلك التي هي مطبوعة او مسطورة **(قراءة مغلوطة)** ؛ او عندما يسمع شيئا هو غير ما يقال له، من دون ان يكون مرد هذا **السمع المغلوط** الى خلل عضوي في حاسة السمع . وثمة طائفة اخرى من هذه الظاهرات عينها اساسها **النسيان** ، على ان يكون معلوما ان هذا النسيان مؤقت ،

لا دائم ، كما عندما يتعذر على المرء تذكر اسم يعرفه حق المعرفة ولا يلبث ان يهتدي اليه فعلا في وقت لاحق ، او كما عندما ينسى الانسان تنفيذ عزم ثم لا يعتم ان يتذكره لاحقا ، فيكون بذلك قد سها عنه لحين من الزمن ليس الا . وثمة طائفة ثالثة من الظاهرات لا تتسم بهذا الطابع المؤقت ، كما عندما لا يوفق واحدنا ، مثلا ، الى العثور على شيء كان قد حفظه في مكان ما ؛ وتدخل في هذا الباب شتى حوادث تضييع الاشياء . وهذه ضروب من النسيان ندهش لها ونغتاظ لحدوثها ، ولا نملك لها فهما . وتتصل بهذه الحالات بعض الاخطاء التي يتجلى فيها من جديد الطابع المؤقت ، كما عندما نؤمن لحين من الزمن بأشياء كنا نعرف سابقا وسنعرف من جديد لاحقا انها ليست كما نتصورها. وبوسعنا ، اذا شئنا ، ان نضيف الى جميع هذه الحالات جملة من ظاهرات مماثلة ، تعرف بأسماء شتى .

وجميع هذه الحوادث تتصل فيما بينها بصلة قربى وثيقة تتجلى في ان جميع الالفاظ التي تفيد في الدلالة عليها بالالمانية تبدأ كلها بالسابقة Ver (١) . وهي جميعها حوادث لا تتصف بالاهمية ، ولا تدوم الا لمدة قصيرة في اغلب الاحيان ، وليس لها دور كبير في حياة الناس . ونادرا ما يتسم بعضها بأهمية عملية، كما في حال تضييع الاشياء . ولهذا لا توقظ الاهتمام ، ولا تثير الا انفعالا واهنا ، الخ ..

---

١ ــ على سبيل المثال : Ver - Sprechen (فلتة لسان) ، Ver - Lesen (قراءة مغلوطة) ، Ver - Horon (خطأ في السمع) ، Ver - Legen (تعذر العثور على شيء بعد وضعه في مكان ما) ، الخ . وهذه تعابير لا مقابل لفظي لها في العربية او في اللغات اللاتينية ، وقد ترجم بعضهم الهفوات بمصطلح «الافعال المحبطة» . ــم ــ

هذه الظاهرات هي ما اريد ان أحدثكم عنه . غير اني اسمعكم تبدون من الان تأففكم واعتراضكم : «ان العالم الخارجي الفسيح، وكذلك عالم الحياة النفسية الاقل فساحة، حافل بالالغاز العظيمة، ومضمار الاضطرابات النفسية زاخر بالاشياء المدهشة التي تتطلب وتستأهل تفسيرا ، فما الجدوى من هدر وقتنا في الانكباب على مثل هذه السفاسف ؟ لو كان بوسعك ان تفسر لنا كيف تؤول الحال بانسان سليم البصر والسمع الى ان يرى في وضح النهار ويسمع اشياء لا وجود لها ، ولماذا يتراءى لفلان من الناس على حين بغتة ان اولئك الذين يحبهم ويقدمهم في المعزة على سواهم انقلبوا عليه يضطهدونه ويكيدون له ، او لماذا يلاحق أوهاما لا يعجز حتى الطفل عن ادراك ما فيها من هراء وعبث ، لو كان ذلك في مقدورك لقلنا ان التحليل النفسي يستأهل عناء دراسته . اما اذا كان كل ما يقدر عليه التحليل النفسي هو البحث عن السبب الذي جعل خطيبا في مأدبة ينطق يوما بكلمة بدل اخرى ، او لماذا تعجز ربة البيت عن العثور على مفاتيحها ، وغير ذلك من السفاسف ، فاننا نصارحك القول ، والحالة هذه ، بأن ثمة معضلات اخرى هي بوقتنا واهتمامنا أجدر » .

وجوابي عليكم في هذه الحال : «صبرا ! ان نقدكم لا يقوم على اسس سليمة . صحيح ان التحليل لا يستطيع ان يتباهى بأنه لم يول السفاسف اهتمامه قط ؛ فمواد ملاحظاته يستمدها عادة من تلك الوقائع غير اللافتة للنظر التي تصدف عنها العلوم الاخرى وتعدها مما لا يُعتدّ به ، ويستقيها من نفايات عالم الظواهر . لكن الا تخلطون في نقدكم بين اهمية المشكلات وبين ظاهر علاماتها ؟ أليس ثمة اشياء هامة لا تتظاهر ، في بعض الظروف وفي بعض الاحيان ، الا من خلال علامات طفيفة غير ذات شأن ؟ وليس أسهل عليّ من أن أضرب لكم طائفة من الامثلة على مثل هذا الوضع . أفلا تستدلون من علامات تكاد لا تقع تحت حس انكم ، وانتم على ما انتم عليه من شباب وفتوة ، قد حزتم رضى

هذه الفتاة او تلك ؟ وهل تنتظرون ، كيما تعرفوا ذلك ، تصريحا سافرا من جانبها ، او مبادرتها الى معانقتكم بحرارة ؟ الا تكتفون، على العكس ، بنظرة خاطفة ، او بإيماءة عابرة ، او بمصافحة أطول بقليل من المعتاد ؟ وحين تقومون ، بصفتكم قضاة ، بتحقيق في جريمة قتل ، فهل تنتظرون ان يترك لكم القاتل صورته الشمسية في مكان الجريمة ، وعليها عنوانه ، ام تراكم تضطرون الى القناعة بآثار طفيفة وعديمة الاهمية بحد ذاتها ، للتوصل الى معرفة هوية المجرم ؟ خليق بنا اذن الا نزدري العلامات الصغيرة : فقد تهدينا الى اشياء أجلّ شأنا واعظم اهمية . ثم اني ارى كما ترون ان مشكلات العالم والعلم الكبرى هي التي ينبغي ان تستأثر باهتمامنا كله . غير انه لا جدوى ، في كثير من الاحيان ، من عقد المرء العزم على تكريس جهده لدراسة هذه المشكلة الكبيرة او تلك ، اذ انه لن يدري في هذه الحال في اي اتجاه ينبغي ان يوجه خطاه . والاقرب الى الصواب والعقل في البحث العلمي ان يتصدى المرء لما يلفاه امامه ، لمواضيع تعرض نفسها من تلقاء نفسها لبحثه وتنقيبه . فان فعل ذلك بجد ، بدون افكار مسبقة ، وبدون آمال مسرفة ، وان واتاه نصيب من الحظ ، فقد يفتح عمله الذي شرع به بلا ادعاء او تبجح الطريق الى دراسة المعضلات الكبرى ، وذلك لما بين الاشياء كلها ، صغيرها وكبيرها ، من روابط ووشائج» .

هذا ما كان عليّ ان اقوله لكم حتى ابقي انتباهكم متيقظا ساعة اشرع بالكلام عن تلك الهفوات العديمة الاهمية في الظاهر والتي تصدر عن أسوياء الناس . وهنا نتوجه بخطابنا الى امرىء لا معرفة له على الاطلاق بالتحليل النفسي ، لنسأله ان يفسر لنا حدوث هذه الامور .

من المؤكد انه سيجيبنا بادىء الامر بقوله : «هذه اشياء لا تستأهل اي تفسير ؛ فهي حوادث تافهة» . ترى ماذا يعني بقوله هذا ؟ أتراه يزعم ان ثمة أحداثا لا يعتد بها ، وأنها لا تخضع لترابط

العالم الفينومينولوجي ، وانه كان من الممكن ان تحدث والا تحدث على حد سواء ؟ لكننا لو حطمنا الحتمية الكونية ، ولو في نقطة واحدة من نقاطها ، نكون قد قلبنا رأسا على عقب كل التصور العلمي للعالم . وعلينا في هذه الحال ان نبيِّن لصاحبنا انه حتى التصور الديني للعالم اكثر تماسك منطق حين يؤكد بعبارة لا لبس فيها ان العصفور الدوري لا يسقط من عشه في السقف الا بتدخل مقصود من المشيئة الالهية . وهنا أتصور صديقنا يمسك عن استخلاص النتيجة التي تترتب على جوابه الاول ، ويعدل رأيه ، ويصرح قائلا انه لو انكب على دراسة هذه الاشياء لوجد لها بسرعة تفسيرا . فلا بد انها اختلالات وظيفية زهيدة ، او اضطرابات بسيطة في النشاط النفسي يمكن بسهولة تحديد شروطها . فالمرء الذي ينطق نطقا سليما بوجه عام يمكن ان يخطىء في الكلام : ١ ــ متى كان متوعك الصحة او متعبا ؛ ٢ ــ متى كان مهتاجا ؛ ٣ ــ متى كان مستغرقا في أمور اخرى . وإثبات هذه التوكيدات ليس بالعسير . ففلتات اللسان كثيرة الحدوث متى كان الانسان متعبا ، او به صداع ، او على وشك ان تأخذه نوبة من نوبات وجع الرأس . وفي ظروف مشابهة يحدث للانسان ان ينسى اسماء الأعلام . وكثيرون من الاشخاص يحدسون بأزوف نوبة الصداع لمجرد وقوعهم في مثل ذلك النسيان . كذلك ، عندما يكون المرء فريسة الاهتياج فكثيرا ما تختلط عليه الاسماء والمسميات ، فيغلط ويخطىء ؛ وأكثر ما يكون نسيانه ما نوى القيام به من أفعال او قيامه بأفعال ما كان في نيته القيام بها ساعة يأخذه السهو والغفلة ، أي ساعة يكون انتباهه مركّزا على شيء آخر . ومن الامثلة المعروفة على مثل هذا السهو والغفلة مثال الاستاذ في مغناة **الاوراق الطائرة** عندما ينسى مظلته ويأخذ قبعة غير قبعته لانه كان مستغرق الفكر في المشكلات التي سيعالجها في كتابه التالي . أما المشاريع التي يُعقد عليها العزم والوعود التي يُقطع بها العهد ، ثم لا تلبث ان تُنتسى لان أحداثا قد

استجدت وحولت الانتباه على حين غرة في وجهة اخرى ، فليس اسهل من ان يجد واحدنا امثلة وفيرة لها في تجربته الخاصة .

قد يبدو لكم هذا واضحا مفهوما وبمنأى عن كل اعتراض . وقد لا يكون على جانب كبير من الطرافة ، او على الاقل ليس بالقدر الذي كنا نتوقعه . فلننعم النظر اذن في هذه التفاسير للهفوات . فالشروط التي يفترض توفرها لحدوثها ليست جميعها من طبيعة واحدة . فتوعك الصحة واضطراب الدورة الدموية لهما دورهما كأسباب فيزيولوجية في الاختلال الذي قد يصيب الوظيفة السوية ؛ بينما الاهتياج والتعب والسهو عوامل من نوع آخر ، ويصح وصفها بأنها نفسية ــ فيزيولوجية . ومن السهل ترجمة هذه العوامل الاخيرة الى نظرية . فالتعب ، والسهو ، وربما ايضا التهيج العام ، تشتت الانتباه ، فلا تعود الوظيفة المعنية تتلقى قدرا كافيا من الانتباه ، فيطرأ عليها بسهولة خلل او يتعذر اداؤها بالدقة المطلوبة . وقد يكون لانحراف الصحة او لتغير الدورة الدموية هذا المفعول عينه ، اذ يؤثران بالكيفية نفسها على العامل الحاسم والأهم ، أي توزّع الانتباه . اذن فهي في كل الاحوال ظاهرات متأتية عن اضطرابات في الانتباه ، سواء انشأت هذه الاضطرابات عن اسباب عضوية ام عن اسباب نفسية .

غير ان هذا كله ليس من شأنه ان يحفز اهتمامنا بالتحليل النفسي ، وقد يكون لا تزال بنا رغبة في نفض أيدينا من هذا الموضوع . والحال اننا لو دققنا النظر في هذه الملاحظات تدقيقا اكبر ، لتبين لنا ان الهفوات لا تتمشى كلها مع نظرية الانتباه هذه ، او انها على الاقل ليست قابلة جميعها للاستنتاج من هذه النظرية مباشرة . وسنلاحظ بوجه خاص ان هفوات ونسيانات تحدث ايضا لدى اشخاص ليسوا بمتعبين او ساهين او مهتاجين ، بل في حالة سوية من جميع الوجوه ، اللهم الا اذا عزونا الى هؤلاء الاشخاص ، وعلى وجه التحديد بسبب الهفوة التي صدرت

عنهم ، حالة من الاهتياج يأبون هم التسليم بها . ولا يخلو الامر من نزعة الى التبسيط لو زعمنا ان زيادة الانتباه قمينة بتنفيذ محكم لوظيفة من الوظائف ، وان نقصان الانتباه تترتب عليه بالتالي نتيجة معاكسة . فكثيرة هي الاعمال التي ينفذها المرء بصورة آلية أو بانتباه غير كافٍ ، من دون ان يضر ذلك بإحكامها. فالمتنزه ، الذي لا يكاد يدري اين مقصده ، يسلك على كل حال الطريق الصحيح ويصل الى غايته بلا تردد . وعازف البيانو المدرب يضغط بأصابعه على الملامس الصحيحة من دون تفكير بها. صحيح انه قد يتفق له ان يخطىء ، لكن لو كان من شأن العزف الآلي ان يزيد من احتمال الوقوع في الخطأ ، لكان البارع بين العازفين هو اكثرهم عرضة للوقوع في الخطأ على اعتباره ان عزفه أمسى بعد طول تدريب آليا صرفا . وانه ليتبين لنا ، على العكس، ان الكثير من الافعال تؤدى بتوفيق كبير حينما لا تكون موضوع انتباه خاص ، وان الغلط قد يقع على وجه التحديد حينما يحرص المرء أشد الحرص على الاداء الامثل ، اي حينما يكون الانتباه مشدودا اليه كله . وقد يقول قائلنا عندئذ ان الغلط جاء نتيجة «التهيج» . ولكن لمَ لا يكون هذا التهيج قمينا بالاحرى بتركيز الانتباه على العمل الذي يحيطه المرء بكل اهتمامه ؟ فحين يزل بالانسان لسانه في اثناء خطاب هام او تفاوض وينطق بعكس ما كان يريد قوله ، فانه يرتكب خطأ يعسر علينا تفسيره بالنظرية النفسية ــ الفيزيولوجية او بنظرية الانتباه .

ان الهفوات نفسها تصاحبها طائفة من ظواهر ثانوية صغيرة تعصى على الفهم ولا تزيدها التفاسير المعتمدة حتى الان قابلية للفهم . فحين ينسى الانسان على سبيل المثال كلمة من الكلمات بصورة مؤقتة ، نراه يضيق ذرعا ، ويبذل قصاراه ليتذكر الكلمة، ولا يقر له قرار ما لم يهتد اليها. فلمَ لا يفلح ، رغم تلهفه وتحرقه، الا فيما ندر في تركيز انتباهه كله على الكلمة التي يقول هو نفسه انها «على طرف لسانه» ، والتي يستذكرها حالما يتلفظ بها احدهم

امامه ؟ كما ان هناك حالات اخرى تتضاعف فيها الهفوات وتتكاثر، ويتشابك بعضها ببعض ، ويقوم بعضها مقام بعض . فقد ينسى المرء ، في مرة اولى ، موعدا ؛ وفي المرة الثانية ، وبعد ان يكون قد عزم على الا ينساه ابدا ، يكتشف انه قد اخطأ في تسجيل الساعة المضروبة له . وقد يسعى احدنا بكل ما أوتيه من حيلة الى ان يتذكر كلمة منسية ، فاذا بكلمة ثانية تفلت من ذاكرته مع انها كان يمكن ان تفيده في استحضار الاولى ؛ واذ يشرع بالبحث عن هذه الكلمة الثانية ، ينسى ثالثة ، وهكذا دواليك . ومثل هذه المضاعفات قد تحدث ايضا ، كما نعلم ، في الاخطاء المطبعية التي يمكن اعتبارها هفوات يقع فيها منضد الحروف في المطبعة . وقد وقعت في مثل هذا الغلط المعاند صحيفة اشتراكية-ديموقراطية. فقد جاء يوما في تعليق لها على تظاهرة ما : «وكان بين الحضور سمو ولي **العهر**» (بدلا من ولي **العهد**) . وفي اليوم التالي ، ارادت الصحيفة تصحيح خطئها والاعتذار عنه ، فكتبت تقول : «كنا نقصد بطبيعة الحال ولي **العهر**» (هذه المرة ايضا بدلا من ولي العهد) (٢) . ويطيب لبعضهم في مثل هذه الاحوال ان يتكلم عن روح شرير يتحكم بالاخطاء المطبعية ، عن عفريت صندوق الحروف ، وكلها تعابير تتجاوز ، في مداها ، النظرية النفسية ــ الفيزيولوجية عن الخطأ المطبعي .

لعلكم تعلمون ايضا ان فلتات اللسان يمكن استحداثها بالايحاء ، نوعا ما . وثمة نكتة حول الموضوع : فقد عهد يوما الى ممثل ناشىء في **عذراء أورليان** (٣) بإبلاغ الملك في موقف جدي من

---

٢ ــ نترجم هنا روح الهفوة ، لا لفظها . وهذا ما سنفعله في كل الامثلة المشابهة . ــم ــ

٣ ــ مسرحية لشيلر استوحاها من حياة جان دارك . ــم ــ

مواقف المسرحية بأن **القائد** العام يرد اليه **سيفه** . والحال ان احد الممثلين الثانويين اراد اثناء التمرين ان يعابث الممثل المبتدىء ، فلقّنه العبارة محرفة على النحو التالي : ان **القوّاد** يرد **ضيفه** . ويبدو ان هذا المزّاح الثقيل اصاب هدفه : فقد نطق الممثل التعيس الحظ فعلا بالعبارة المحرّفة كما هي اثناء التمثيل الفعلي ، وهذا بالرغم من التحذيرات التي تلقاها بهذا الخصوص ، او ربما بسبب هذه التحذيرات بالذات .

والحال ان جميع هذه الخصائص الطفيفة المميزة للهفوات غير قابلة للتفسير بنظرية الانتباه المحوّل . غير ان هذا لا يعني ان هذه النظرية خاطئة . ولعلها بحاجة الى تكملة كيما تكون مُرضية ومقبولة تماما . على ان الكثير من الهفوات يمكن النظر اليها ، مع ذلك ، من وجهة نظر مغايرة .

لنتأمل من الهفوات تلك التي تلائم غرضنا اكثر من سواها : فلتات اللسان . ولقد كان يسعنا ان نختار بدلا منها أغلاط الكتابة او القراءة . وبهذا الصدد ، يجب الا يغيب عن بالنا ان السؤال الوحيد الذي طرحناه حتى الان هو متى وفي اية شروط يفلت اللسان ، واننا لم نفز بجواب الا عن هذا السؤال وحده . لكن من الممكن ان ننظر في **الشكل** الذي تتلبسه الفلتة ، والاثر الذي ينجم عنها . وأنتم تدركون ولا بد اننا ما لم نجب عن هذا السؤال الاخير ، وما لم نفسر الاثر الذي يتأتى عن الفلتة ، فستظل هذه الظاهرة حادثا عارضا من وجهة النظر السيكولوجية ، وحتى لو وجدنا لها تفسيرها الفيزيولوجي . وبدهي ان فلتة اللسان التي تصدر عني يمكن ان تتلبس الف شكل وشكل ؛ فمن الممكن ان الفظ ، بدلا من الكلمة الصحيحة ، آلافا غيرها مما هو في غير محله ؛ وأن أحرّف الكلمة الصحيحة على الف وجه . وعلى هذا ، وعندما تصدر عني في موقف معين فلتة بعينها دون سواها من الفلتات المحتملة ، فهل تقسرني على ذلك اسباب قاهرة ، ام ان

الامر محض مصادفة اعتباطية ، ومسألة لا تستتبع اي جـواب معقول ؟

حاول مؤلفان ، هما السيد مرنفر Meringer والسيد ماير Mayer (الاول فقيه في اللغة ، والثاني طبيب أمراض عقلية) ، في عام ١٨٩٥ ان يطرقا من هذه الزاوية مسألة الاغلاط اللغوية . وقد جمعا أمثلة وعرضاها باديء الامر من وجهة نظر وصفيـة خالصة . وهما لم يقدما بذلك ، بطبيعة الحـــال ، أي تفسير ، لكنهما دلانا الى الطريق الذي يمكن ان يفضي اليه . فقد صنفا التحريفات التي تصيب الخطاب القصدي ضمن الابواب التالية : أ ــ القلب ؛ ب ــ الاستباق ؛ جـ ــ الاستلحاق ، د ــ الادغام ، هـ ــ الإبدال . وسأسوق لكم أمثلة على كل باب من هذه الابواب . فمن **القلب** ان يقول قائل : **ميلو فينوس** بدلا من **فينوس ميلو** (٤). ومن **الاستباق** قول القائل : ما **أجثم** الهم الذي **يجثم** على صدري، بدلا من : ما **أثقل** الهم الذي يجثم على صدري . ومن **الاستلحاق** قول من يقول : أدعوكم الى شرب **شخب** (٥) رئيسنا ، بدلا من **نخب** . وهذه الاشكال الثلاثة من الفلتات ليست كثيرة الذيوع . وبالمقابل تكثر الفلتات التي تنجم عن **تداخل** كلمتين او **ادغامهما** كأن يقول الفتى لفتاة يعاكسها في الطريق : هل تسمحين لي بأن **انافقك** في الطريق ؟ فهنا حدث ادغام بين كلمة **أرافقك** التي كان مفروضا ان ينطق بها وبين كلمة **نافق** التي نطق بها ، والتي فيها اهانة للفتاة . وأقول بالمناسبة ان صاحبنا الفتى لم يقع بكل تأكيد موقع رضا في عين فتاتنا . أما **الإبدال** اخيرا فسأضرب عليه مثالا من الامثلة التي جمعها مرنفر وماير : «سأضع اللحم في علبـــة

---

٤ ــ ميلو : جزيرة يونانية في بحر ايجه ، اكتشف فيها سنة ١٨٢٠ تمثال الالهة فينوس الشهير ، فنسب اليها . ــمــ

٥ ــ شخب القتيل : سال الدم من اوداجه . ــمــ

البريد» بدلا من : «سأضع اللحم في علبة الجليد» .

اما التفسير الذي يحاول الباحثان المشار اليهما استخلاصه مما جمعاه من أمثلة فيبدو لي غير كافٍ على الاطلاق . فهمـــا يعتقدان ان اصوات اللفظة ومقاطعها تتفاوت قيمة واهمية ، وان تعصيب Innervation العنصر الارفع في القيمة يمكن ان يترك أثرا تشويشيا في تعصيب العناصر الادنى في القيمة . وهذا في الحق لا يسري الا على البابين الثاني والثالث عند الاقتضاء ، وهو على كل حال قليل التواتر ؛ اما في ضروب الفلتات الاخرى ، فان غلبة بعض الاصوات على غيرها ، على افتراض وجودها ، لا تلعب أي دور على الاطلاق . فأكثر الفلتات تواترا هي تلك التي يهفـو فيها اللسان بكلمة بدل اخرى مشابهة لها ، وهذا التشابه يبدو للكثيرين كافيا لتفسير الهفوة . من ذلك ان استاذا قال في درسه الاول : «لست منكرا **جمود** الاستاذ الذي سبقني الى تدريسكم»، وكان قصده ان يقول : «لست منكرا **جهود** الاستاذ ... الخ» . وكذلك قول القائل : «أما فيما يتعلق بجهاز المرأة التناسلي ، فرغم كل البحوث التي **هاجت مؤخرا** ... عفوا ، رغم كل البحوث التي راجت مؤخرا ...» .

لكن الفلتة الاكثر تواترا والألفت للانتباه هي تلك التي يهفو فيها اللسان بعكس ما كان يريد النطق به تماما . ومن الواضح ان العلاقات الصوتية او تأثيرات التشابه لا تلعب هنـــا سوى دور طفيف للغاية . فاذا استبعدنا هذين العاملين ، جاز لنا ان نتوقف عند حقيقة معروفة ، وهي ان الاضداد تقوم بينها وشائج قوية على صعيد التصور ، وتكون قريبة الى بعضها بعضا غاية القرب مـــن حيث التداعي او الترابط السيكولوجي . وثمة امثلة مشهورة في هذا الموضوع . فقد افتتح مرة رئيس مجلس النواب عندنـــا الجلسة بقوله : «سادتي ، بالنظر الى اكتمال النصاب ، أعلـــن **ارفضاض** الجلسة» .

والواقع ان اي شكل آخر من أشكال التداعي السهل قد يكون له ما لتداعي الاضداد من مفعول اذا جاء حدوثه في غير محله . يروى ، مثلا ، ان العالم الفيزيولوجي المشهور ديبوا ــ ريمون Dubois - Reymond القى خطبة في مأدبة اقيمت بمناسبة زواج احد اولاد آل هلمهولتز Helmholtz من ابنة الصناعي المعروف إ. سيمنز Siemens ، وانهى كلمته الرائعة ، كما هو مفروض ، بالدعوة الى شرب نخب «شركة سيمنز وهالسكه الجديدة» . وكان يقصد بقوله هذا ، بطبيعة الحال ، شركة سيمنز ــ هالسكه Halske القديمة ؛ والربط بين هذين الاسمين مألوف لدى جميع ابناء برلين .

وعليه لا بد ان ندخل في حسابنا ، علاوة على العلاقات الصوتية بين الالفاظ وتشابهها ، تأثير ترابطها وتداعيها . ولكن هذا ايضا لا يكفي . فثمة طائفة بكاملها من الحالات لا يمكن تفسير الفلتة فيها الا اذا اخِذت بعين الاعتبار العبارة التي كان المتكلم قد نطق بها او حتى فكر بها سابقا. اذن فهي بدورها من الحالات ذات المفعول الاستلحاقي ، شبيهة بتلك التي حدثنا عنها مرنفر ، وان تكن اوسع نطاقا . وهنا لا اجد مناصا من الاعتراف لكم بأنه يلوح لي ، اذا ما أمعنا التفكير في كل ما تقدم ، اننا أبعد الان عن فهم الطبيعة الحقيقية لزلّات اللسان مما كنا عليه من قبل .

غير اني اخالني لا أخطيء ان زعمت ان الامثلة التي سقناها على الهفوات في ما تقدم من بحثنا تترك لدينا انطباعا جديدا حقيقا بأن نوليه اهتمامنا . فقد بحثنا اولا في الشروط التي تحدث فيها الفلتة بصفة عامة ، ثم درسنا العوامل التي تعيّن ما يطرأ من تحريف على اللفظة ؛ لكننا لم ننظر الى الان في مفعول الفلتة بحد ذاته ، بصرف النظر عن الكيفية التي تحدث بها . فان قر قرارنا على ان نفعل ، رأينا انفسنا مطالبين بأن تكون لنا الجراة على التصريح بأن التحريف ، الذي هو قوام الفلتة ، له في بعض الامثلة التي سقناها مغزى . لكن ماذا نعني بقولنا : **له مغزى ؟**

نعني ان مفعول الفلتة قد يكون حقيقا بأن نرى فيه فعلا نفسيا كاملا ، له هدفه الخاص ، وتظاهرة لها مضمونها ومدلولها الخاصان . ونحن لم نتكلم حتى الان الا عن الهفوات ، لكن يلوح الان ان الهفوة قد تكون فعلا صحيحا تماما ، وكل ما هنالك انه ناب مناب الفعل المنتظر او المراد .

هذا المعنى اللصيق بالهفوة يتجلى للعيان في بعض الاحوال على نحو باهر لا يخطئه الادراك . فان يكن رئيس مجلس النواب قد اعلن ، من اول عبارة نطق بها ، ارفضاض الجلسة ، بينما كان قصده الاعلان عن افتتاحها ، فاننا نميل ، نحن العارفين بالظروف التي حدثت فيها الفلتة ، الى الافتراض بأن لهذه الهفوة معنى . فقد كان الرئيس لا يتأمل خيرا من الجلسة ، وما كان ليسوءه لو استطاع رفعها . ولا يعسر علينا البتة في هذه الحال ان نهتدي الى مغزى الفلتة المشار اليها وأن نفهم مدلولها . وعندما تروي سيدة معروفة بتشبثها برأيها : «استشار زوجي طبيبا في نوع الحمية التي ينبغي عليه اتباعها ، فأجابه الطبيب ان لا حاجة به الى الحمية ، وأنه يستطيع ان يأكل ويشرب **ما اريده انا**» ، فلا شك في ان في هذا القول فلتة ، لكن هذه الفلتة تعتبر تعبيرا سافرا لا يخطئه الادراك عن طبيعة الخطة التي تنهجها السيدة المذكورة حيال زوجها .

فاذا ما تأكد لنا ان الفلتات ذات المغزى لا تشكل استثناء ، بل هي على العكس كثيرة التواتر ، ظهر لنا هذا المغزى ، الذي لم نعره حتى الان اهتماما في كلامنا عن الهفوات ، على انه بالضرورة العنصر الذي له الصدارة على كل العناصر الاخرى ، وجاز لنا ان نقدمه في البحث عليها . وعندئذ يكون في وسعنا ان نضرب صفحا عن جميع العوامل الفيزيولوجية والنفسية ــ الفيزيولوجية ، وأن نقصر اهتمامنا على البحث السيكولوجي المحض في معنى الهفوات ومغزاها والنيات والمقاصد التي تشف عنها . وعليه ،

سنمضي قدما الى الامام في تمحيص طائفة كبيرة من الملاحظات من هذا المنظور تحديدا .

لكن قبل ان نضع هذا المشروع موضع التنفيذ ، أدعوكم الى ان تسلكوا معي طريقا آخر . فقد حدث لاكثر من شاعر ان استخدم الفلتة او غيرها من الهفوات وسيلة من وسائل الاداء الشعري . وفي هذا وحده ما يثبت لنا ان الشاعر يرى ان الهفوة ، وعلى سبيل المثال فلتة اللسان ، ليست خالية من المعنى ، ولاسيما انه يصطنعها عن قصد وعمد . ولن يدور في خلد احد ان يفترض ان الشاعر اخطأ وعثر به قلمه اثناء الكتابة ، وأنه ترك خطأه بلا تصحيح ، فصار على هذا النحو فلتة على لسان البطل . وانما قصد الشاعر من الفلتة الاشارة من طرف خفي الى شيء ما ، ولا يشق علينا ان نفطن الى ما يمكن ان يكونه هذا الشيء : كتنبيهنا الى ان الشخص المذكور شارد اللب او متعب او على وشك ان يصاب بنوبة صداع . لكن وان استخدم الشاعر الفلتة على انها كلمة ذات معنى ومغزى ، فانه يجدر بنا ألا نغلو بطبيعة الحال في اهميتها . وفي الواقع ، قد تكون الفلتة مجردة من كل معنى ، وقد لا تعدو ان تكون عارضا نفسيا ، او قد لا يكون لها من معنى الا بصفة استثنائية ، وهذا من دون ان ننكر على الشاعر حقه في تزويق اخراجها وتحميلها ما يتفق من المعاني مع الفرض الذي يرمي اليه . لا تعجبوا اذن ان صارحتكم بأنكم قد تجنون فائدة اكبر في هذا الموضوع لو قرأتم الشعراء بدل ان تدرسوا مؤلفات فقهاء اللغة وأطباء الامراض العقلية .

لدينا مثال على فلتة من هذا القبيل في **فالنشتاين** (٦)

---

٦ ـ البرشت فالنشتاين : دوق الماني من مواليد بوهيميا (١٥٨٣ ـ ١٦٣٤)، عمل فيخدمة الامبراطور الجرماني وأبلى بلاء حسنا في حرب الثلاثين عاما. =

(بيكولوميني ، الفصل الاول ، المشهد الخامس) . ففي المشهد السابق كان بيكولوميني (٧) قد دافع دفاعا حارا عن الدوق ، فأشاد بمحاسن السلم ومزاياه التي فطن اليها خلال الرحلة التي قام بها ليواكب ابنة فالنشتاين الى المعسكر . ثم يغادر خشبة المسرح تاركا أباه ومبعوث البلاط الملكي في انذهال ووجوم شديدين . وعندئذ يجري المشهد الخامس على النحو الآتي :

كوستنبرغ : تعسا لنا ! اين وصل بنا الحال ، يا صديقي ؟ وهل ندعه يذهب بوهمه هذا ، من دون ان ننبهه اليه ولا أن نفتح عينيه حالا ؟

اوكتافيو (يفيق من استغراقه في التفكير) : عيناي مفتوحتان ، وما اراه ليس مما يسرني .

كوستنبرغ : ما الامر ، يا صديقي ؟

اوكتافيو : لعن الله تلك الرحلة !

كوستنبرغ : لماذا ؟ ما الخطب ؟

اوكتافيو : تعال ! ينبغي ان أتتبع دون إبطاء هذا الاثر المشؤوم الذي اراه بعيني ... تعال ! (يهم باقتياده) .

كوستنبرغ : ما بك ؟ اين تريد الذهاب ؟

اوكتافيو (في تعجل) : اليها !

= لكنه طمعا في عرش بوهيميا ، تفاوض على عقد الصلح مع العدو ، فامر الامبراطور باغتياله . وقد استوحى شيلر من قصة حياته ثلاثية مسرحية مثلت في فايمار (١٧٩٨ - ١٧٩٩) وتألفت من ثلاثة أجزاء : معسكر فالانشتاين ، وبيكولوميني ، وموت الدوق . —م—

٧ - المقصود هنا بيكولوميني الفتى ، ابن اوكتافيو بيكولوميني ، وهو جنرال نمساوي من مواليد بيزا بايطاليا (١٦٠٠ - ١٦٥٦) ، لمع اسمه في عدد من المعارك في حرب الثلاثين سنة . —م—

كوستنبرغ : الى ...
اوكتافيو (متداركا) : الى الدوق ! هيا !

كان اوكتافيو يريد ان يقول «اليه ، الى الدوق !» . لكن لسانه هفا به ؛ وبقوله : اليها ، أماط اللثام (لنا على الاقل) عن كونه ادرك تحت تأثير من صار المقاتل الشاب يحلم بمحاسن السلم.

لقد اكتشف أ. رانك (٨) Rank مثالا اكثر روعة من هذا لدى شكسبير ، وذلك في مسرحية **تاجر البندقية** ، وعلى وجه التحديد في المشهد الشهير الذي يتعين فيه على العاشق المحظوظ ان يختار بين صناديق ثلاثة . وخير ما يمكن ان أفعله ان أقرأ عليكم الفقرة المقتضبة التالية مما كتبه رانك بصدد هذا الموضوع:

«يحتوي المشهد الثاني من الفصل الثالث من **تاجر البندقية** لشكسبير على مثال من فلتات اللسان ينم عن رهافة كبيرة في الحس الشعري وعن براعة كبيرة في الصنعة الفنية ؛ وهو يثبت، نظير ذلك المثال الذي وجده فرويد في **فالنشتاين (علم نفس امراض الحياة اليومية** (٩) ، الطبعة الثانية ، ص ٤٨) ، ان الشعراء يعرفون حق المعرفة أوالية هذه الهفوة ومغزاها ، وانهم يفترضون بالمشاهدين ايضا معرفة هذا المغزى. فبورشيا ، التي ارغمها ابوها على ان تختار زوجا لها عن طريق القرعة ، افلحت ، بما واتاها من حظ ، في الافلات من كل الذين تقدموا الى خطبتها وما حازوا على رضاها . ثم لما وجدت اخيرا في باسانيو الخاطب الذي ترتضيه ، باتت تخشى ان يسيء هو الآخر اختيار الصندوق .

---

٨ ـ اوتو رانك : طبيب امراض عقلية (١٨٨٤ ـ ١٩٣٩) ، كان لفترة طويلة من الزمن من تلاميذ فرويد الاوفياء ، له دراسات تحليلية نفسية في الميتولوجيا، كما ادخل تطويرا على تفسير عقدة اوديب . ـم ـ

٩ ـ كتاب لفرويد اصدره سنة ١٩٠١ ودرس فيه شتى اشكال الهفوات التي ترتكب في الحياة اليومية . ـم ـ

وكانت تتمنى لو تخبره بأنه حتى ان وقع له هذا فبوسعه الاطمئنان الى حبها ، لكن العهد الذي قطعته لوالدها كان يمنعها من ذلك .
وفيما هي فريسة هذا الصراع الداخلي ، جعلها الشاعر تقول لخاطبها الغالي عندها :

«ارجوك ان تتمهل ؛ اصبر يوما او يومين قبل ان تسلم امرك للعبة الحظ ؛ فلو اسأت الاختيار لفقدت عشرتك . تمهل اذن . ثمة شيء ينبئني (لكنه ليس الحب) بأني سأتحسر وأتأسف لو فقدتك ... صحيح اني استطيع ان آخذ بيدك كيما تحسن الاختيار ، لكني في هذه الحال سأحنث بيميني ، وهذا ما لا اطيقه . وهكذا قد لا اكون من حظك ؛ وعندئذ ستجعلني أتحسر على انني لم أحنث بيميني . آه لهاتين العينين اللتين زرعتا البلبلة في نفسي وشطرتاني شطرين : **شطر لك ، وشطر لك** ... اريد ان اقول **لي** . لكنه ان كان لي ، فهو لك ايضا ، وهكذا اكون كلي لك» .

«هذا الشيء الذي ما كانت تريد الا ان تلمع اليه إلماعة طفيفة ، والذي كان يفترض بها ان تكتمه وتخفيه ، وهو انها **كلها** له حتى قبل اجراء القرعة وأنها تحبه ، هذا الشيء جعلها الشاعر ، برهافة سيكولوجية بديعة ، تبوح به عبر فلتة لسانها ، فخفف بهذه الحيلة الفنية عن العاشق ما كان يعانيه من شك لا يطاق ، وعن المشاهدين ما كانوا فيه من ترقب وقلق بصدد نتيجة الاقتراع» .

ولنلاحظ ايضا مدى ما دللت عليه بورشيا من إرهاف عندما وفّقت في آخر كلامها بين الاعترافين المتضمَّنين في فلتة لسانها وأزالت ما بينهما من تناقض ، مع مجاهرتها في الوقت نفسه بحبها له : «لكنه ان كان لي ، فهو لك ايضا ، وهكذا اكون كلي لك» .

لقد اتفق لأحد المفكرين ممن لا صلة لهم بالطب ان كشف ،

بملاحظة واحدة يتيمة ، مغزى الهفوة ، فوفّر علينا بذلك عنـــاء البحث عن تفسير لها . انتم جميعكم تعرفون ولا بد الهجّاء العبقري ليختنبرغ Lichtenberg (١٧٤٢ ـ ١٧٩٩) الذي قال عنه غوته ان كل نكتة من نكاته تخفي معضلة . فقد كتب ليختنبرغ يقول انه من كثرة ما قرأ هوميروس انتهى به الامر الى ان يقرأ اســــم اغاممنون (١٠) Agamemnon حيثما طالعته كلمة انغينومن (١١) Angenommen . هنا تكمن فعلا كل نظرية الهفوة .

في المحاضرة التالية سنرى ان كنا نستطيع ان نتفـــق والشعراء في تصورهم لمعنى الهفوات .

---

١٠ ـ اغاممنون : من ملوك اليونان الاسطوريين وقائدهم في حرب طروادة، ضحى بابنته افيجينيا قربانا للآلهة حتى تهب الرياح مؤاتية لسفن الاغريق. ـم ـ

١١ ـ كلمة المانية معناها «افتراضا» . ـم ـ

المحاضرة الثالثة

الهفوات (تابع)

اتفقنا في محاضرتنا الاخيرة على النظر الى الهفوة في ذاتها ، لا في صلتها بالفعل القصدي الذي تحدث ما تحدث فيه من تشويش . وقد تبدى لنا ان الهفوة تنمّ في بعض الاحوال عن معنى خاص ، وقلنا بيننا وبين انفسنا انه لو امكن اثبات صحة هذا الانطباع الاول على نطاق اوسع ، لكان خليقا بهذا المعنى اللصيق بالهفوات ان يستأثر باهتمامنا اكثر مما تستأثر به الظروف التي تحدث فيها الهفوة .

ولنتفق مرة اخرى على ما نعنيه حين نتكلم عن «معنى» سيرورة من السيرورات النفسية . فما هذا «المعنى» في نظرنا سوى القصد الذي يخدمه والمكان الذي شغله في المتواليات النفسية . بل قد يسعنا ، في معظم ابحاثنا ، ان نستبدل كلمة

«المعنى» بكلمة «القصد» او «الغرض» . لكن عندما نتصور ان وراء الهفوة قصدا ، الا ترانا نجري وراء مظهر خدّاع او ضرب من المبالغة الشعرية ؟

لنلزم أمثلة فلتات اللسان ، ولنستعرض عددا اكبر من الملاحظات التي تتعلق بها . فهنا تواجهنا مجموعات كاملة من الحالات يتجلى فيها معنى الفلتة بوضوح وسطوع . وباديء ذي بدء الحالات التي ينطق فيها المرء بعكس ما يبغي قوله . لقد قال الرئيس في خطابه الافتتاحي : «أعلن **ارفضاض** الجلسة» . لا مجال هنا للبس او الابهام ، فالمعنى والقصد اللذان يشي بهما كلامه انه يريد فض الجلسة . بل لعلنا نستطيع ان نضيف انه قال ذلك ؛ وما علينا في هذه الحال الا ان نأخذه بقوله . ارجو الا يقاطعني الان احد باعتراضاته ، كأن يرد عليّ بأن ذلك امر محال، على اعتبار اننا نعرف انه كان يريد افتتاح الجلسة ، لا فضها ، وانه يؤكد بنفسه ــ ونحن نقر بأنه هو المرجع الاول والاخير ــ انه كان يريد افتتاحها . ولا تنسوا اننا كنا اتفقنا على النظر الى الهفوة في ذاتها ؛ أما صلاتها بالقصد الذي تشوشه ، فستكون موضوع بحثنا لاحقا . ولو نهجنا غير هذا النهج ، لوقعنا في خطأ منطقي (يسميه الانكليز Begging The question) [1] من شأنه ان يبعدنا عن معالجة المسألة المطلوب معالجتها .

وحتى في الحالات الاخرى ، التي لا ينطق فيها المرء تحديدا بعكس ما كان يبغي قوله ، تظل الهفوة تعبر عن معنى مضاد . فعندما قال الاستاذ : «لست منكرا جمود الاستاذ الذي سبقني الى تدريسكم» ، فان كلمة **جمود** ليست نقيض **جهود** ؛ لكن قوله يتضمن اعترافا علنيا يتنافى تنافيا صارخا وموقف المتكلم .

وفي حالات اخرى ، يكون كل شأن الفلتة ان تضيف معنى

---

١ ــ المصادرة على المطلوب . ــم ــ

آخر الى المعنى المقصود . وهنا تبدو العبارة وكأنهـــا ادغام او اختصار او تكثيف لعدة عبارات . وهذا ينطبق على تلك السيدة الطاغية الشخصية التي تكلمنا عنها في المحاضرة السابقة والتي قالت عن زوجها : «انه يستطيع ان يأكل ويشرب ما **أريده أنا**» . فكأنها قالت : «يستطيع ان يأكل ويشرب ما يريد . لكن ما حاجته الى ان يريد ؟ فأنا من يريد مكانه» . وكثيرا ما تترك الفلتات انطباعا بأنها اختصار من هذا القبيل . ومثال ذلك ان استاذا في التشريح سأل تلاميذه ، في نهاية درس له عن التجويف الانفي ، عما اذا كانوا قد فهموه . فلما اجابوه بالايجاب ، أردف يقول : «لا أعتقد ذلك ، لان من يفهمون البنية التشريحية للتجويف الانفي ، حتى في مدينة تعد مليونا من السكان ، يمكن ان يعدوا على **اصبـــع واحدة** . . . عفوا ، على اصابع يد واحدة» . وهكذا فان اختصار الجملة كان له معناه : فقد اراد الاستاذ ان يقول انه لا يوجد سوى رجل واحد يفهم بنية التجويف الانفي .

الى جانب هذه الطائفة من الحالات ، التي ينجلي فيها معنى الفلتة من تلقاء نفسه ، ثمة حالات اخرى لا تشي فيها الفلتـــة بمغزى ذي دلالة ، وتكون بالتالي متعارضة مع ما كنا نتوقعه . فحين يلحن احدهم في النطق باسم علم او يتلفظ بأصوات غريبة مبهمة ، وهذا كثير التواتر ايضا ، فقد يبدو لنا وكأنـــه ليس لمسألة معنى الهفوات سوى جواب سلبي . لكن لو أمعنا التفكير في هذه الامثلة لبان لنا ان تحريف الالفاظ او الجمل أمر قابـــل بسهولة للتفسير ، بل لتأكد لنا ان الفارق بين هذه الحالات التي يكتنفها قدر اكبر من الغموض وبين الحالات الواضحة البيِّنـــة التي ذكرناها أعلاه ليس كبيرا كما حسبنا لاول وهلة .

سئل رجل عن وضع حصانه المريض ، فأجاب : «آه ، ربمـــا **يصيش** . . . ربما يعيش شهرا آخر» . فلما سئل عن المعنى الذي رمى اليه من وراء كلمة **يصيش** (التي نطق بها في بادىء الامر بدلا

من **يعيش**) ، اجاب انه بالنظر الى ان مرض حصانه هو **في نظره مصيبة** ألمت به ، فقد دمج رغما عن ارادته بين كلمتي **مصيبة** و **يعيش** ، فكانت منهما زلة لسانه **يصيش** (عن مرنفر وماير) .

وفي معرض حديث احدهم عن مسالك واساليب تشير استنكاره واشمئزازه ، قال : «عندئذ **انكشرت** أمور كثيرة» . وكان يقصد ان يقول : **انكشفت** أمور كثيرة . لكن بما انه كان ينعت في سريرة نفسه تلك المسالك والاساليب بأنها شريرة ، فقد ربط بغير طوعه بين كلمتي **انكشفت** و**شريرة** ، فكانت الفلتة **انكشرت** (عن مرنفر وماير) .

تذكروا مثال ذلك الشاب الذي عرض ان يرافق سيدة لا يعرفها بكلمة **انافقك** . وقد اجزنا لأنفسنا ان نفك هذه الكلمة الى **رافق** و **نافق** ، وكنا على ثقة تامة بهذا التأويل ، فلم نر داعيا الى توكيد صحته . ويتضح لكم من هذه الامثلة اننا نستطيع ان نفسر حتى هذه الحالات من الفلتات التي يكتنفها قدر اكبر من الابهام بالتقاء لفظين يعبّران عن قصدين مختلفين او بتداخلهما . والفارق الوحيد بين شتى انواع هذه الحالات ان القصد في بعضها ، كما في الفلتات التي ينطق فيها المرء بعكس ما يبغي قوله ، يحل محله قصد مغاير تماما (استبدال) ، بينما لا يصيب القصد في حالات اخرى سوى تحريف او تعديل بفعل قصد آخر ، مما يؤدي الى تشكيل الفاظ مختلطة تنطوي على قدر او آخر من المعنى .

هكذا يتهيأ لنا اننا كشفنا سر عدد كبير من الفلتات . فاذا تمسكنا بهذه النظرة ، امكننا ان نفهم مجموعات اخرى ما برحت حتى الان ملغزة . من ذلك ، على سبيل المثال ، اننا لا نستطيع على الدوام ، وفيما يتعلق بتحريف الاسماء ، ان نفترض ان المسألة مسألة تزاحم بين اسمين ، متشابهين ومختلفين في آن واحد . فحتى ان لم يكن لهذا التزاحم من وجود ، لا يشق علينا ان نميط اللثام عن القصد الثاني . فتحريف الاسم امر شائع خارج نطاق الفلتات . ومن ذلك ان يحاول احدهم تحريف الاسم لكي يجعل

له وقعا نشازا ، او لكي يستحضر وقعه في الآذان صورة شيء مبتذل . وهذا لون شائع جدا من ألوان الاهانة والتجريح ، ليس للإنسان المهذّب الا ان يأنف من اللجوء اليه ، ولو على مضض . وكثيرا ما يُعطى شكل «نكتة» مسفة كل الاسفاف . من المباح لنا اذن ان نفترض ان الفلتة تتأتى في كثير من الاحيان عن قصـــــد تجريحي يتنكر في إهاب تحريف اللفظ . ولو توسعنا بتصورنا هذا لوجدنا ان مثل هذه التفاسير تسري على بعض الفلتات ذات الوقع الهازل او اللامعقول : «ادعوكم الى شرب شخب رئيسنـــــا (بدلا من : شرب نخب)» . فهذه الكلمة الفالتة ، بما لها من وقع غير مستساغ ، قد عكرت ، على غير ما انتظار ، جو ذلك الحفل الرسمي ؛ فاذا تذكرنا بعض الالفاظ والعبارات التي يُنطق بهـــا قصد الاهانة ، جاز لنا ان نفترض ، في الحالة التي نحن بصددها، وجود ميل يحاول الافصاح عن نفسه ، ولو بالتناقض الصارخ مع موقف الخطيب المفعم احتراما وتوقيرا في الظاهر . ولكأن هذا الخطيب اراد ان يقول في حقيقة الامر : لا تصدقــوا ما اقوله ، فأنا لا أتكلم جادا ، بل أسخر من صاحبنا ، الخ . وكذلك الحال في أرجح الظن في الفلتات التي تتحول فيها الالفاظ البريئة الى كلمات جارحة وبذيئة .

هذا الميل الى التحوير ، او بالاولى الى التحريف ، نلحظه لدى الكثير من الناس ممن يسلكون هذا المسلك حبا بالتندر و«التنكيت» . وبالفعل ، كلما طرق سمعنا تحريف كهذا ، وجدنا انفسنا نتساءل هل قصد المتكلم الى التنكيت فحسب ، ام ان لسانه عثر به بفلتة حقيقية .

هكذا نكون قد وجدنا ، بسهولة نسبية ، حلا للغز الهفوات ! فما هذه الهفوات وليدة المصادفة ، وانما هي افعال نفسية جدية لها معنى ، وناجمة عن تضافر قصدين مختلفين ، او بالاحرى عن تعارضهما . غير اني اتوقع سلفا كل الاسئلة وكل الشكوك التي قد

تثيرونها بهذا الصدد ، اسئلة وشكوك لا بد ان نلتمس لها أجوبة وحلولا قبل ان يحق لنا الاغتباط باحراز تلك النتيجة الاولى . ولست أنوي بحال من الاحوال ان ادفع بكم الى التعجل في استخلاص النتائج . بل لنناقش جميع النقاط في نظام وتأنٍ ، الواحدة تلو الاخرى .

ماذا عساكم تسألونني ؟ اتسألونني هل اعتقد ان التفسير الذي أتقدم به يصلح للتطبيق على جميع حالات الفلتات ، ام على طائفة محدودة منها فحسب ؟ وهل يشمل هذا التصور جميع ضروب الهفوات الاخرى : اغلاط القراءة والكتابة ، والنسيان ، والإخطاء **Méprise** ، وتعذر اهتداء المرء الى شيء كان قد وضعه في مكان ما ، الخ ؟ وما الدور الذي يمكن ان يلعبه بعدُ التعب والتهيج والسهو وتشتت الانتباه حيال الطبيعة النفسية للهفوات ؟ وقد تلاحظون ، علاوة على ذلك ، ان احد القصدين المتزاحمين في الهفوة باطن على الدوام ، بينما الآخر ظاهر . فكيف السبيل الى اظهار هذا القصد الخفي ؟ واذا تصورنا اننا افلحنا في ذلك ، فكيف نثبت ان هذا القصد ليس محتملا فحسب ، بل هو القصد الحقيقي الوحيد ؟ الديكم اسئلة اخرى تطرحونها عليّ ؟ ان كان هذا كل ما لديكم ، فسأزيد عليه من عندي . وسأذكركم بأن الهفوات بحد ذاتها ليست هي ، والحق يقال ، ما يستأثر باهتمامنا ، وانما نريد ان نستخلص من دراستها نتائج قابلة للتطبيق على التحليل النفسي . ولهذا أطرح السؤال التالي: ما هذه المقاصد والميول التي تتعدى ان جاز القول على مقاصد وميول اخرى ، وما العلاقات التي تقوم بين المقاصد المتعدية والمقاصد المتعدى عليها ؟ وهكذا سنجد انفسنا ملزمين باستئناف مجهودنا من جديد بعد ان نكون قد وفّقنا الى حل المشكلة .

اذن هل ينطبق تفسيرنا على جميع حالات الفلتات ؟ أميل كل الميل الى اعتقاد ذلك ، لان هذا التفسير هو الذي يفرض نفسه كلما محّصنا فلتة من الفلتات . على انه ليس ثمة دليل على انه لا

وجود لفلتات تنشأ عن أواليات اخرى . على رسلكم . لكن هذا الاحتمال لا يعنينا كثيرا من الوجهة النظرية ، لان النتائج التي نتطلع الى استخلاصها كمدخل الى التحليل النفسي تبقى قائمة حتى على فرض ان الفلتات التي تتفق وتصورنا لا تمثل الا نسبة ضئيلة بين سائر الفلتات ، وهو على كل حال فرض غير صحيح. اما سؤالكم الثاني عما اذا كان من المباح لنا ان نعمم على سائر انواع الهفوات النتائج التي تتأتى لنا من دراسة فلتات اللسان ، فاني سأجيب عنه استباقا بالايجاب . وسترون اني محق في ذلك متى ما انتقلنا الى فحص الامثلة المتعلقة بزلة القلم ، والإخطاء ، الخ . غير اني أقترح عليكم ، لاسباب تقنية ، إرجاء هذا العمل الى ان ننتهي من دراسة مشكلة فلتات اللسان بمزيد من التعمق .

والآن ، وحيال الاوالية النفسية التي اتينا بوصفها ، ما الدور الذي تضطلع به بعد العوامل التي يعلق عليها الباحثون اهمية كبرى : اضطرابات الدورة الدموية ، التعب ، التهيج ، الشرود وتشتت الانتباه ؟ هذا سؤال جدير بتمحيص مستأنٍ . وتأكدوا اننا لا نماري البتة في تأثير هذه العوامل . والحق انه لا يتفق كثيرا للتحليل النفسي ان يماري في ما يثبته الآخرون ؛ وهو بصفة عامة لا يصنع اكثر من ان يضيف اليه جديدا ؛ والمصادفة هي التي شاءت ان يكون ما اغفله الآخرون وأضافه التحليل النفسي هو اساس الموضوع وجوهره. ان تأثير الاستعدادات الفيزيولوجية، الناشئة عن توعك الصحة واضطراب الدورة الدموية وحالات الاعياء ، على إوالية حدوث الفلتات ليس مما ينكر بحال من الاحوال . وتجربتكم الشخصية واليومية كفيلة بإثبات وجود هذا التأثير . لكن هذا التفسير لا يفسر شيئا كثيرا ! والعوامل التي عددناها ليست ، بادىء ذي بدء ، شروطا لازمة للهفوة . فالفلتة تحدث ايضا في تمام الصحة وفي تمام السواء . وليس لهذه العوامل البدنية من قيمة الا بقدر ما تسهّل وتيسر الاوالية

النفسية المتحكمة بالفلتة . وقد لجأت يوما ، تمثيلا على هـذه العلاقة ، الى تشبيه أجدني اليوم مضطرا الى التمثل به من جديد لانني لن اجد ، مهما بحثت ، خيرا منه . لنفرض اني بينما كنت اسير ليلا في مكان مقفر هاجمني لص وسلبني ساعتـي وصرة نقودي ؛ وعلى اثر هذه السرقة التي ما استطعت اثناءها تمييز وجه اللص ، قصدت أقرب مخفر للشرطة وقدمت شكوى قائلا : «لقد سلبني الظلام والانفراد قبل قليل متاعي» . عندئذ قد يجيبني رئيس المخفر بقوله : «يخيل اليّ انك تخطىء بتفسيرك الامر هذا التفسير الميكانيكي المفرط . ولو سمحت ، فاننا نتصور الموقـف على النحو التالي بالاحرى : لقد سلبك لص مجهول ، بحماية الظلام والانفراد ، مالك . وأهم ما في حالتك ، في رأيي ، هو الاهتداء الى السارق ؛ فعندئذ فحسب قد تتاح لنا الفرصة لاستعـادة الاشياء التي سرقها منك» .

وعلى هذا ، فان العوامل النفسية ـ الفيزيولوجية ، من تهيج وشرود وتشتت انتباه ، لا تسعفنا كثيرا في تفسير الهفوات . فان هي الا تعابير لا تغني ولا تسمن ، وستائر لا يجوز لها ان تحجب عنا رؤية ما وراءها . والاولى بنا ان نتساءل : ما علة التهيج ، او ما علة تشتت الانتباه في الحالة الخاصة التي نحن بصددها ؟ وأنا لا انكر ، بطبيعة الحال ، ما للمؤثرات الصوتية والتشابهـات اللفظية والتداعيات المعهودة التي تقوم بين الكلمات من اهميـة معلومة . فجميع هذه العوامل تسهّل الفلتة اذ تدلها الى الطريق الذي يمكن لها ان تسلكه . لكن أيكفي ان يكون امامي طريق ليتعين عليّ ان اسلكه ؟ الحق انه لا بد لي ايضا من دافع يحفزني علـى ابرام قراري بسلوكه ؛ ولا بد لي من قوة تحملني على المضي فيه . اذن فتلك العلاقات الصوتية والتشابهات اللفظية ليس من شأنها ـ مثلها في ذلك مثل الاستعدادات الجسمانية ـ الا ان تيسّر الفلتة ، لا ان تفسرها بملء معنى الكلمة . وحسبكم ان تستذكروا ان خطابي هذا ، على كثرة ما فيه من الفاظ تشابه بجرسها الفاظا

اخرى او ترتبط بأضدادها ترابطا وثيقا او تستحضر تداعيات مألوفة ، بقي خاليا ــ اللهم الا فيما ندر ــ من الزلات . ولعلنا كنا سنجيز لأنفسنا ، عند الاقتضاء ، ان نقول مع الفيلسوف فونت(٢)، ان فلتة اللسان تحدث عندما ترجح كفة الميل الى التداعي على كفة مقاصد الكلام الاخرى طرا ، من جراء الاعياء الجسماني . لكن التجربة تنقض هذا التفسير ، وترينا ان الفلتة قد تحدث في بعض الاحوال حتى وان غابت العوامل الجسمانية ، كما قد تحدث في احوال اخرى حتى وان انعدمت التداعيات القمينة بتيسيرها .

لكن سؤالكم بصدد الكيفية التي نتحقق بها من تداخل القصدين سؤال مفيد حقا . ولعلكم لا تشتبهون في النتائج الخطيرة التي قد تترتب عليه تبعا للجواب الذي سنعطيه له . ففيما يتعلق بأول القصدين ، القصد المتعدى عليه ، لا يمكن ان يخالجنا شك بصدده : فالشخص الذي يرتكب الهفوة يعرف هذا القصد ويجاهر به . أما الشك والتردد فلا يكتنفان الا القصد الآخر ، القصد المتعدي . والحال انني أسلفت لكم القول ، وهو بالتأكيد لم يغب عن بالكم ، ان ثمة مجموعة من الحالات يكون فيها هذا القصد الاخير جليا بيّنا هو الآخر . ومفعول الفلتة هو الذي يميط لنا اللثام عنه ، وذلك متى واتتنا الجرأة على النظر الى هذا المفعول بحد ذاته . لقد قال الرئيس عكس ما كان يفترض به ان يقوله :فمن الواضح انه يريد افتتاح الجلسة ، لكن من الواضح ايضا انه ما كان ليسوءه ان يفضها . وهذا بيِّن الى حد يغني عن كل تأويل . لكن كيف لنا ، في الحالات التي لا يصنع فيها القصد المتعدي شيئا غير ان يحرف القصد الاصيل من دون ان يفصح

---

٢ ــ فلهلم فونت : فيلسوف وعالم نفس الماني مثالي (١٨٣٢ ــ ١٩٢٠) ، مؤسس علم النفس التجريبي . ــم ــ

عن نفسه ، ان نستبينه من خلال هذا التحريف ؟

نستطيع ، في طائفة اولى من الحالات ، ان نفعل ذلك ببساطة وعلى نحو ثابت محقق ، باتباعنا الطريقة عينها التي نتبعها في الكشف عن القصد المتعدى عليه . فنحن نعلمه من فم الشخص المعني بالذات الذي يتدارك خطأه فور صدور الفلتة عنه ويعاود النطق بالكلمة الصحيحة ، كما في المثال الآنف الذكر : «ربما **يصيش** ... ربما **يعيش** شهرا آخر» . فلما سئل : لماذا نطقت بادىء الامر بكلمة **يصيش** ؟ اجاب صاحبنا انه اراد ان يقول انها **مصيبة أصابتني** ، لكنه خلط ، بغير طوعه ، بين **يعيش** وبين **المصيبة** ، فكانت فلتة لسانه : **يصيش** . هكذا يكون الشخص المعني نفسه قد كشف لنا عن القصد المتعدي . وكذلك الحال في المثال الذي سقناه في المحاضرة السابقة عن فلتة اللسان : **انكشرت** ؛ فقد اجاب الرجل ، لما سئل عن سرها ، بأنه كان يقصد ان يقول انها أمور **شريرة** ، لكنه امسك عن ذلك وتورط في وجهة خاطئة . وهنا ايضا يمكننا تعيين القصد المتعدي بمثل الثقة التي نعين بها القصد المتعدى عليه . وانا لم اكن خالي الوفاض من كل نية مسبقة عندما سقت هذين المثالين اللذين لم اكن لا انا ولا احد من أنصاري مصدر روايتهما او تحليلهما . على انه في كلتا الحالتين لم يكن مناص من التدخل الطفيف من الخارج لتسهيل الحل . فقد اقتضى توجيه السؤال الى الشخصين المعنيين عن السبب الذي حملهما على التورط في تلك الفلتة ، وعن رأيهما في الموضوع . ولولا ذلك ، فلربما نطقا بالفلتة من دون ان يجشما نفسيهما عناء تفسيرها . لكن لما سئلا عن سرها ، فسراها بأول فكرة خطرت على بالهما . وكما ترون ، فان هذا التدخل الطفيف ونتيجته هما بحد ذاتهما ضرب من التحليل النفسي ، نموذج مصغر للبحث التحليلي النفسي الذي سنحدد أصوله فيما بعد .

ترى أأكون مسرفا في الريبة اذا ما اشتبهت بأن مقاومتكم

للتحليل النفسي تبرز حالما أزج باسمه هنا ؟ الا تساوركم الرغبة في الاعتراض عليّ بأن المعلومات التي يدلي بها الاشخاص الذين ارتكبوا فلتات ليست مما يمكن ان يعتد به كل الاعتـــداد ؟ الا تقولون بينكم وبين انفسكم ان الاشخاص المعنيين يجنحون بطبيعة الحال الى الامتثال لدعوة من يطلب اليهم تفسير الفلتة فيتلفظون بأول شيء يخطر ببالهم ان لاح لهم قمينا بتقديم التفسير المنشود؟ وهذا كله ليس من شأنه ، في رأيكم ، ان يثبت ان الفلتة تنطوي فعلا على المعنى المعزو اليها . فقد يكون لها هذا المعنى ، لكن ربما كان لها ايضا معنى آخر . فقد كان من الممكن ان تخطر ببـــال الشخص الذي نوجه اليه السؤال فكرة مغايرة تماما للفكرة الاولى، ولكنها تضاهيها ، ان لم نقل انها تفوقها ، في صلاحتها للتفسير.

انني لأعجب حقا للاستخفاف الذي تعاملون به في صميمكم الوقائع النفسية ! تخيلوا ان احدهم قام بتحليل كيمياوي لمـادة معينة ، فوجد ان لاحد عناصرها المقوّمة وزنا معينا ، مقداره كذا ميلغراما ، مثلا . وافترضوا ان نتائج محددة يمكن استخلاصها من هذا الوزن . فهل لكم ان تتصوروا ان يبادر كيمياوي آخر الى نقض هذه النتائج بحجة ان المادة المذكورة كان يمكن ان يكون لها وزن آخر ؟ ان الانسان لا يملك الا ان يسلم بأن الوزن المكتشف هو الوزن الحقيقي ، ثم يتخذ من هذه الحقيقة الواقعة ، بلا تردد، اساسا للاستنتاجات اللاحقة . فهل يجوز لنا ، عندما تواجهنا واقعة نفسية ، قوامها فكرة معينة خطرت ببال شخص ردا على سؤال وجهناه اليه ، الا نطبق القاعدة نفسها ، وأن نزعم ان هذا الشخص كان يمكن ان تخطر له فكرة اخرى ؟ الحق انكم مأخوذون بوهم حرية نفسية ، وأنتم عن التخلي عنه عازفون ! واني لآسف اذا كنت لا استطيع مشاطرتكم رأيكم في هذا الموضوع .

قد تسلمون في نهاية الامر بهذه النقطة ، لكن لتجـــددوا معارضتكم لنقطة اخرى . وهكذا ستردفون قولكم : «اننا نفهم ان

يكون قوام تقنية التحليل النفسي الخاصة انتزاع حل المشكلات التي يتصدى لها من فم الشخص المحلّل بالذات . لكن لنعد في هذه الحال الى ذلك المثال الآخر الذي يدعو فيه خطيب المأدبة معشر الحفل الى شرب «شخب» الرئيس . فأنت تقول ان القصد المتعدي في هذا المثال قصد تجريحي يعارض القصد التكريمي . لكن هذا تأويل شخصي من جانبك ليس الا ، بنيتَه على ملاحظات من خارج فلتة اللسان . اما لو وجهت سؤالك الى مرتكبها فلن يقر ابدا بقصد تجريحي ؛ بل سيبادر بالاحرى الى نفيه ، وبكل ما أوتيه من قوة . فلماذا لا تتنازل اذن عن تأويلك المتعذر اثباته والبرهان عليه حيال هذا الانكار القاطع ؟» .

لقد اهتديتم هذه المرة الى حجة ذات وزن . وهأنذا اتخيل الخطيب المجهول ؛ فهو في أرجح الظن مساعد الرئيس المكرَّم ؛ ولعله حائز من الان على لقب محاضر خاص [٣] Privat - Docent ؛ واني لأتمثله شابا ينتظره مستقبل حافل بالوعود . وسأسأله بإلحاح ان لم يكن قد شعر بشيء من النفور من التعبير عن عواطفه التكريمية ازاء رئيسه . لكن ها هوذا يستقبل سؤالي باحتداد ، ويرد عليّ بسخط : «ارجوك ان تكف عن استجواباتك، وإلا غضبت فعلا . وشبهاتك هذه قد تفسد عليّ مستقبلي كله. لقد نطقت بكل بساطة ب «شخب» بدلا من «نخب» ، لاني نطقت قبلها مباشرة بكلمة «شرب» وهذا ما يسميه ميرنغر بالاستلحاق ، فلا داعي للبحث عن تأويل آخر . أفهمتني ؟ حسبك ذلك !» إحم ! ان رد فعل فتانا لعنيف حقا ، وإنكاره أعنف . واني لأقر بأنه لا مجال لانتزاع شيء منه ، لكني أعتقد ايضا انه حريص شخصيا

---

٣ ـ استاذ جامعي في المانيا يتلقى مكافأته من الطلاب مباشرة ، وهذا ما كان عليه وضع فرويد نفسه في اول حياته العلمية . ـم ـ

اشد الحرص على الا نجد لهفوته معنى . وقد ترون معي انهْ اخطأ باحتداده مع ان الامر لا يعدو ان يكون بحثا نظريا خالصا ، ولكن قد تضيفون قولكم : انه يعرف ولا بد ، على كل حال ، ما كان يريد او لا يريد قوله .

أحقا ؟ هذا تحديدا ما نريد ان نتحقق منه بعد .

هنا أسمعكم تهتفون : ها صاحبنا قد وقع اخيرا ! وكأنـــي بلسان حالكم يقول : أهذه هي اذن تقنيتك ؟ أكلما صدرت عـــن شخص فلتة لسان ، وقال في تعليلها ما يتمشى مع رأيك ، اعلنت انه الحجة الاخيرة والفاصلة في الموضوع ، وصرحت : «ها هوذا ينبئنا هو نفسه بالحقيقة» ؟ أما اذا قال الشخص المستجوَب شيئا لا يتمشى مع رأيك ، زعمت للحال ان تفسيره عديم القيمة ، وان ليس من داع للاخذ به !

ذلك هو الوضع حقا . غير انه يسعني ان أضرب لكم مثالا على حالة مشابهة تجري فيها الامور فعلا هذا المجرى العجيب . فحين يقر الظنين بجرمه ، يصدّق القاضي اقراره ؛ لكنه حين ينكره ، لا يصدقه القاضي . ولو جرت الامور غير هذا المجرى لما استقام للعدالة كيان ؛ ولا محيد لنا عن الاخذ بهذا النهج ، رغم الاخطاء المحتملة .

«ولكن هل انت قاضٍ ، وهل من يزل لسانه بفلتة متهم في نظرك ؟ وهل فلتة اللسان جرم ؟» .

لعل هذا التشبيه ، على بعده ، خليق بألا نردّه . لكن أرأيتم الى هذه الفوارق البليغة التي تتكشف للعيان ما ان نتعمق قليلا في دراسة المشكلات ــ البريئة في الظاهر ــ التي تثيرها الهفوات؟ وانها لفوارق لا نملك بعد ان نسوّيها وأن نوفق بينها . لذا أقترح عليكم حلا وسطا مؤقتا ينهض تحديدا على اساس هذه المشابهة بين التحليل النفسي والدعوى القضائية . فعليكم من جهتكم ان تسلموا لي بأن معنى الهفوة يكون بمنأى عن اي شبهة متى ما أقر به المحلّل نفسه . وبالمقابل اسلم لكم بتعذر الحصول على دليل

مباشر على المعنى المشتبه به اذا ما رفض المحلَّل الادلاء بأيــــة معلومات ، او اذا ما كان غيابه يحول دون حصولنا على هــــذه المعلومات . وعندئذ نضطر ، كما في التحقيق القضائي ، للاكتفاء بقرائن تجعل قرارنا مشاكلا بقدر كثير او قليل للواقع ، تبعــــا للظروف . وقد تضطر المحكمة ، لاسباب عملية ، الى ان تعلن ان المتهم مذنب ، حتى وان لم تتوفر لها سوى أدلة تخمينية . ومــع اننا لسنا بحاجة الى ركوب هذا المركب ، الا انه يخلق بنا ان لا نتمنع عن الاستفادة من مثل هذه القرائن . فمن الخطأ ان نتوهم ان العلم لا يتألف الا من اطروحات قام صارم البرهان علــــى صحتها ، ومن الخطل ان نطلب منه ان يكون كذلك . والحق ان مثل هذا المطلب لا يصدر الا عن اولئك الذين لا ينساقون الا بسائق السلطة ، والذين تمس حاجتهم الى استبدال التعليم الدينــي بآخر ، ولو كان علميا . والواقع ان التعليم العلمي لا ينطوي الا على قدر طفيف من القضايا اليقينية الثابتة ؛ واكثر اثباتاته علــــى درجات شتىمن الرجحان. وخاصية الروح العلمي معرفته وقدرته على متابعة البناء ومواصلته ، وان أعوزته أدلة نهائية .

لكن ان لم نظفر من فم المحلَّل بالذات بالمعلومات القمينــــة بتفسير معنى هفوته ، فأنى لنا ان نقع على مرتكزات لتأويلاتنا ، وعلى قرائن لبرهاننا ؟ هذه المرتكزات وهذه القرائن تتأتى لنا من مصادر شتى . أولها المقارنة التشابهية مع ظاهرات لا صلة لهــا بالهفوات ، كما عندما نلاحظ مثلا ان لتحريف الاسم في الهفــوة معنى تجريحيا مماثلا للمعنى الذي يكون لمثل هذا التحريف لو كان قصديا . كما يزودنا بالمرتكزات والقرائن الوضع النفسي الذي حدثت فيه الهفوة ، ومعرفتنا بطبع الشخص الذي ارتكب هذه الهفوة ، والمشاعر التي قد تكون ساورته قبل ارتكاب الهفوة والتي قد لا تكون هذه الهفوة الا استجابة مضادة لها . والكيفية التــي تجري بها الامور عادة تفرض علينا ان نقوم بتأويل الهفوة ، اول

الامر ، انطلاقا من مبادىء عامة . وما نصل اليه على هذا النحو لا يعدو ان يكون تخمينا ، مشروعا للتأويل نسعى الى توكيد صحته لاحقا بدراسة الموقف النفسي . وقد نضطر احيانا ، للفوز بما يثبت صحة افتراضنا ، الى ان ننتظر احداثا معينة تكون الهفوة نفسها بمثابة نذير بها .

لن يكون من السهل عليّ ان أسوق لكم الادلة على ما اقول ما دمت أحصر بحثي بمضمار فلتات اللسان ، ولو ان هذا المضمار قمين بتزويدنا هو الآخر ببعض الامثلة الجيدة . فالشاب الذي رغب في مرافقة السيدة، فعرض عليها ان **ينافقها** (جمع بين كلمتي رافق ونافق) هو بكل تأكيد شاب خجول ؛ والسيدة التي يتوجب على زوجها ان يأكل ويشرب ما **تريده** هي بالتأكيد واحدة من اولئك النسوة الطاغيات الشخصية (وانا أعرف انها كذلك فعلا) ممن تكون لهن اليد الطولى في بيوتهن . وهاكم ايضا المثال التالي : ففي اثناء اجتماع عام لجمعية كونكورديا ، القى شاب ، من موقع المعارضة ، خطابا عنيفا هاجم فيه ادارة الجمعية ، لكنه وجه كلامه الى اعضاء «لجنة الاعارة» ، بدلا من ان يخاطب اعضاء «مجلس الادارة» . اذن فبوسعنا ان نتكهن ونفترض ان معارضته اصطدمت بقصد متعدٍ ذي صلة محتملة بعملية اقتراض (اعارة). وقد علمنا بالفعل ان خطيبنا كان بحاجة موصولة الى المال ، وكان قد تقدم بطلب اقتراض جديد . وعليه ، فاننا نستطيع ان نلخص علة القصد المتعدي بالفكرة التالية : خير لك ان تلتزم جانب الاعتدال في معارضتك ، فأنت تخاطب اشخاصا يمكنهم ان يمنحوك او يرفضوا منحك الاعارة التي تطلبها .

وسيكون بوسعي ان اسوق اليكم مجموعة مختارة من هذه القرائن ــ الادلة لو أبحت لنفسي ان اطرق ميدان الهفوات الاخرى الوسيع .

فحين ينسى احدهم اسم شخص يعرفه معرفة جيدة ، او حين لا يستطيع ان يحفظه الا بصعوبة ومشقة ، فمن حقنا ان

نفترض انه يضمر لحامل هذا الاسم بعض الضغينة ، فلا يطيب له ان يفكر به . تأملوا معي في ما تكشفه لنا الامثلة التالية عن الوضع النفسي الذي تحدث فيه هفوات من هذا النوع :

«كان السيد س يحب سيدة لا تبادله الحب ، ما لبثت ان تزوجت من السيد ع . ومع ان السيد س يعرف السيد ع من زمن بعيد ، بل تصله وإياه علاقات تجارية ، فانه دائم النسيان لإسمه ، حتى انه يضطر الى طلبه من اشخاص آخرين كلما دعاه الداعي الى الكتابة اليه» (٤) .

من الواضح ان السيد س لا رغبة له في ان يسمع شيئا عن غريمه المحظوظ . Nicht Gedacht Soll Seiner Werden (٥) .

مثال آخر : سألت سيدة طبيبها عن حال سيدة اخرى يعرفانها كلاهما ، لكنها سمتها بشهرتها قبل الزواج . اما شهرتها بعد الزواج فقد غابت عن ذاكرتها نهائيا . ولما سئلت في هذا ، صرحت انها مستاءة جدا من زواج صديقتها وانها لا تطيق زوج هذه الاخيرة البتة (٦) .

وسنعود الى الكلام لاحقا بمزيد من التفصيل على نسيان الاسماء . أما ما يستأثر باهتمامنا الان فهو الموقف النفسي الذي يقع فيه هذا النسيان .

ان نسيان المشاريع يمكن ان يعزى ، بصورة عامة ، الى تأثير تيار مضاد يعاكس وضعها موضع التنفيذ . وليس هذا رأي المحللين النفسيين وحدهم ، بل رأي الناس اجمعين ، الراي الذي يجهر به كل انسان في الحياة اليومية ، لكنه ينكره على الصعيد

---

٤ ـ نقلا عن ك.غ. يونغ .

٥ ـ بيت شعر لهنريخ هايني : لنمحه من ذاكرتنا . ـم ـ

٦ ـ نقلا عن أ.أ. بريل .

النظري . فالوصي ، الذي يعتذر لربيبه عن نسيانه طلبه ، لا يغنيه اعتذاره هذا شيئا في نظر الربيب الذي يقول بينه وبين نفسه : ليس في اعتذار وليّ امري ذرة من الحقيقة ، وانما كل قصده الا ينجز الوعد الذي قطعه لي . لذا كان النسيان محظورا في بعض ظروف الحياة ، وبذلك يتلاشى الفارق بين التصور الشعبي والتصور التحليلي النفسي للهفوات . تخيلوا ربة منزل تستقبل ضيفا كان قد دعته بهذه العبارة : «كيف ! أهذا يوم زيارتك ؟ لقد نسيت تماما انني دعوتك لهذا اليوم» . او تصوروا حالة شاب مرغم على الاعتراف للفتاة التي يحبها بأنه نسي ان يوافيها الى موعدهما الاخير : فهو بدلا من الاقرار لها بنسيانه هذا، يبادر الى اختلاق ما لا يصدّق من الموانع التي حالت دون موافاتها بحسب الموعد ودون اتصاله بها فيما بعد . كما ان الاعتذار بالنسيان لا يؤخذ بعين الاعتبار في الحياة العسكرية ولا يعفي الناس من العقاب : هذا امر نعرفه جميعنا ، ونجد ان له ما يبرره ، لاننا نعترف بأن بعض الهفوات في شروط الحياة العسكرية لها معنى ، ونعرف في غالب الاحوال ما هو هذا المعنى . فلماذا لا نكون منطقيين ونشمل بهذه النظرة سائر الهفوات ، ونجهر بذلك بصراحة وبلا قيد ؟ ان لهذا ايضا جوابا بطبيعة الحال .

لئن يكن مغزى نسيان المقاصد والمشاريع ليس موضع ريبة احد، حتى في نظر العامة، فلن يدهشكم طبعا ان تلاحظوا ان الشعراء يصطنعون هذه الهفوة للقصد ذاته . فمن حضر منكم او قرأ مسرحية ب.شو : **قيصر وكليوباترة** ، يذكر في الارجح المشهد الاخير الذي تستحوذ فيه على قيصر ، المتهيء للرحيل ، فكرة مقصد عقد العزم على تنفيذه ولكنه بات عاجزا عن تذكره . ثم نعلم في آخر الامر ان هذا المقصد كان مقابلة كليوباترة لتوديعها. وقد اراد الشاعر ، بهذه الحيلة الصغيرة ، ان يعزو الى قيصر الكبير عجرفة ما كانت من خلقه ولا مما يحلو له ان يتظاهر به . وانتم تعلمون من المصادر التاريخية ان قيصر استقدم كليوباترة

الى روما ، فأقامت فيها مع قيصرونها الصغير ، الى ان اغتيل قيصر ، فهربت من المدينة .

ان حالات نسيان المقاصد والمشاريع هي بوجه العموم على درجة كبيرة من الوضوح بحيث يكاد يتعذر علينا استخدامها في ما نرمي اليه ، وهو استخلاص القرائن المتعلقة بمعنى الهفوة من الموقف النفسي. لذا سنيمّم شطر نوع من الهفوات يعوزه الوضوح ويكتنفه اللبس : ضياع الاشياء واستحالة الاهتداء الى موضعها. وقد يبدو لكم انه لما لا يصدّق ان يكون لنياتنا ومقاصدنا دور ما في ضياع الاشياء ، بالنظر الى ما لهذا الضياع من وقع مؤلم في انفسنا في كثير من الاحيان . لكن كثيرة هي الامثلة على الحالة التي سأوردها لكم : فقد اضاع شاب قلما كان شديد الحرص عليه ؛ والحال انه كان قد تلقى بالامس من صهره رسالة خُتمت بهذه العبارة : «ليس عندي على كل حال لا الوقت ولا الرغبة لأشجعك على استهتارك وكسلك» (٧) . وكان القلم هدية من صهره هذا على وجه التحديد . ولولا هذه المصادفة ، لما امكننا بطبيعة الحال ان نجزم بأن نية التخلص من القلم قد لعبت دورا ما في ضياعه . وهذا النوع من الحالات كثير التواتر . فالانسان يضيع الاشياء اذا ما اختلف مع من قدمها اليه وتلاشت رغبته في التفكير به بعد . وقد يضيعها ان سئمها ورغب في استبدالها بما هو احسن منها . ويدخل في عداد هذا الموقف من الاشياء اسقاطها وكسرها وإتلافها . أفمحض مصادفة أن يضيع التلميذ او يتلف او يكسر شيئا مما يستعمله يوميا ، كحقيبته او ساعته على سبيل المثال ، عشية عيد ميلاده تحديدا ؟

لا شك في ان من عانى كثيرا من عدم قدرته على الاهتداء الى

---

٧ ـ نقلا عن ب. داتنر .

موضع الاشياء الذي وضعها بنفسه فيه يشق عليها ان يصدق ان هذه الحوادث محكومة بقصد ما . ومع ذلك ، لا يندر على الاطلاق ان تنمّ الظروف المصاحبة للنسيان عن وجود ميل الى التخلص بصورة مؤقتة او نهائية من الشيء المنسي . وسأسوق واحدة من هذه الحالات ، ولعلها أدل من كل ما عرف او نشر حتى اليوم :

روى لي شاب ان سوء تفاهم وقع بينه وبين زوجته قبل بضع سنوات ، وقال : «كنت اجد زوجتي باردة اكثر مما ينبغي، وكنا نعيش جنبا الى جنب ، بلا حب او حنان ، وان كنت لا انكر عليها خصالها وصفاتها الحميدة . ذات يوم جاءتني ، وكانت عائدة من نزهة ، بكتاب اشترته ، توخيا منها بأنه سيشوقني . فشكرتها على «اهتمامها» ووعدتها بقراءة الكتاب ووضعته في مكان ما . ولكني لم ألبث ان نسيت المكان الذي وضعته فيه . وتصرمت شهور تذكرت فيها الكتاب مرارا عدة وجهدت للعثور عليه ، ولكن بلا طائل . وبعد ذلك بحوالي ستة شهور مرضت أمي ، وكنت احبها حبا جما ، فسارعت زوجتي الى السفر لتقوم على العناية بها . وتفاقمت حالة المريضة ، مما اتاح لزوجتي ان تظهر طيب شمائلها . وذات مساء عدت الى بيتي عامر القلب بالشعور بالرضى عن زوجتي ومفعما بعرفان الجميل لكل ما فعلته . ودنوت من مكتبي ، وفتحت دون قصد محدد ، لكن بوثوق السائر في نومه ، درجا بعينه ، فكان اول ما وقع نظري عليه الكتاب المفقود الذي طالما عزّ عليّ الاهتداء اليه» .

هكذا ، وبزوال الدافع ، لم يعد من المتعذر الاهتداء الى المفقود .

بوسعي ، لو شئت، ان اسوق من هذه الامثلة الى غير ما حد، لكني لن أفعل . ففي كتابي **علم نفس امراض الحياة اليومية** (طبعته الالمانية الاولى صدرت عام ١٩٠١) فيض من مختلف انواع

الامثلة لمن يبغي دراسة الهفوات (٨) . وجميع هذه الامثلة تتمخض عن نتيجة واحدة لا تتبدل : ان للهفوات معنى ، وهي تهدينا الى سبل استخلاص هذا المعنى على ضوء الظروف المصاحبة لها . وسألزم جانب الاقتضاب اليوم ، لان كل قصدنا ان نستخلص من هذه الدراسة عناصر تمهيدية للتمرس بالتحليل النفسي . وعليه ، لن أحدثكم بعد الا عن مجموعتين من الملاحظات : ملاحظات تتصل بالهفوات المتراكمة والمتراكبة ، واخرى تتصل بتأكيد الاحداث التالية للهفوة صحة تأويلنا لها .

ان الهفوات المتراكمة والمتراكبة تؤلف بلا ادنى ريب اجمل تشكيلة من نوعها . ولو كان كل المطلوب ان نثبت ان للهفوات معنى ومغزى ، لحصرنا اهتمامنا من البداية بهذه الهفوات وحدها ، لان معناها على درجة من الوضوح والجلاء بحيث لا يغيب حتى عن أشد العقول بلادة ، ويفرض نفسه حتى على الاذهان المتشبثة كل التشبث بأذيال الروح النقدي . فتراكم التظاهرات ينمّ عن مثابرة يصعب عزوها الى المصادفة ، وتتفق كل الاتفاق ، على العكس ، مع فرضية قصد وغرض . واخيرا ، فان نيابة بعض الهفوات مناب غيرها تدلنا على ان الجانب المهم والاساسي في هذه الهفوات يجب التماسه ، لا في شكلها ولا في الوسائل التي تستخدمها ، وانما في القصد الذي تقوم هي نفسها على خدمته والذي يمكن أن يتحقق بطرق شتى . وسأسوق لكم مثالا على نسيان متكرر : يروي إ. جونز (٩) انه ترك مرة على مكتبه لمدة

---

٨ ـ وكذلك في ما جمعه أ. مايدر (بالفرنسية) ، و ا.ا. بريل (بالانكليزية)، و إ. جونز (بالانكليزية) ، و ج. ستارك (بالهولاندية) ، الخ .

٩ ـ ارنست جونز : محلل نفسي بريطاني (١٨٧٩ ـ ١٩٥٨) ، اشتهر اول الامر بسيرة حياة فرويد التي وضعها باسم **حياة فرويد وفكره** ، ومؤسس الجمعية البريطانية للتحليل النفسي ، وله دراسات تحليلية في الفن واللغة =

بضعة ايام ، ولاسباب يجهلها ، رسالة كان قد كتبها . ولما عزم على ارسالها فعلا ونفذ عزمه ، أعادها اليه الـ Dead Letter Office (دائرة الرسائل المهملة) ، لانه نسي ان يضع عليها العنوان . فلما استصلح هذا السهو ، والقى بالرسالة من جديد في صندوق البريد ، غفل هذه المرة عن لصق الطابع . وعندئذ لم يجد مناصا من الاقرار بينه وبين نفسه بأنه لم تكن له رغبة حقيقية في ارسال الرسالة المذكورة .

وهاكم حالة اخرى يتراكب فيها استملاك الاشياء بطريق الخطأ مع استحالة الاهتداء بعد ذلك الى موضعها . فقد قامت سيدة برحلة الى روما مع صهرها ، وهو رسام مشهور . وقد رحب الالمان المقيمون في روما بالزائر ترحيبا حارا ، واحتفلوا به، وقدموا اليه ، في جملة الهدايا التي قدموها اليه ، ميدالية ذهبية قديمة العهد . وساء السيدة ان تلاحظ ان صهرها لا يقدر هذه القطعة النفيسة حق قدرها . فلما حضرت اختها الى روما، قفلت راجعة الى بلدها ، ولاحظت ، وهي تفك حقيبتها ، انها حملت معها الميدالية من دون ان تدري كيف . وعلى الفور بادرت الى اعلام صهرها وابلغته انها ستعيد الميدالية الى روما في الغداة . فلما كان الغد تعذر عليها ان تهتدي الى المكان الذي وضعتها فيه ؛ واستحال بالتالي ارسالها . وعندئذ حدست السيدة بما يعنيه «سهوها» : فهي تود الاحتفاظ بالقطعة النفيسة لها .

لقد سقت اليكم من قبل مثالا يتراكب فيه نسيان مع خطأ: انه مثال ذاك الذي سها عن موعد لمرة اولى ، فعزم على الا ينساه مرة

= والانتروبولوجيا ، وقدم مساعدة كبيرة للمحللين النفسيين الذين لجؤوا الى انكلترا فرارا من الاضطهاد النازي . —م—

ثانية ، لكنه لما وافى الى الموعد الثاني رأى انه قدم في غير الساعة المحددة . وقد روى صديق لي ، ممن يهتمون بالعلوم والآداب معا، قصة حادثة مشابهة من معين حياته الشخصية بالذات . قال : «وافقت ، قبل بضع سنوات ، على ان اكون عضوا في مجلس ادارة احدى الجمعيات الادبية ، اعتقادا مني بأن الجمعية قد تساعدني ذات يوم على تقديم احدى مسرحياتي على المسرح . وصرت كل يوم جمعة احضر جلسات مجلس الادارة ، على غير اهتمام كبير من جانبي . ومنذ بضعة اشهر تأكد لي ان احدى مسرحياتي ستقدم على مسرح ف... ، وابتداء من ذلك اليوم صرت **أنسى** دوما حضور الجلسات المذكورة . لكن لما قرات ما كتبتَه عن هذه الامور ، خجلت من مسلكي ، وقلت بيني وبين نفسي ألومها انني ما احسنت فعلا بانقطاعي عن الجلسات منذ ان انتفت حاجتي الى المساعدة التي كنت أتأملها . وهكذا عقدت العزم على ألا أتخلف عن الحضور يوم الجمعة القادم . وظللت أفكر بذلك طول الوقت ، الى ان كان اليوم الذي وجدت فيه نفسي اقف امام باب غرفة الاجتماع . ولشد ما كانت دهشتي لما وجدته مقفلا ، اذ كانت الجلسة قد عقدت بالامس ! والحق انني اخطأت في اليوم وذهبت السبت بدل الجمعة» (١٠) .

ومع انه بودي لو امضي في سرد أمثال هذه الحالات على مسامعكم ، الا اني أكتفي بهذا القدر ، لأستعرض وإياكم بعض حالات من نوع آخر ، وعلى وجه التحديد النوع الذي لا تتأكد فيه صحة تأويلنا الا بما يقع من أحداث تالية له .

غني عن البيان ان الشرط الاساسي في هذه الحالات ان نكون جاهلين بالموقف النفسي الراهن او عاجزين عن اخضاعه لتحرينا وتقصينا . وعندئذ لا يعدو تأويلنا ان يكون ضربا من التخمين الذي

---

١٠ ــ نقلا عن ريتلر .

لا نعلق عليه اهمية كبيرة . لكن لا يلبث ان يطرأ في وقت لاحق حادث ما ، فيتبين لنا منه صحة تأويلنا الاول . فقد دعيت يوما الى بيت زوجين شابين ، فروت لي الزوجة اثناء زيارتي ، وهي تضحك ، انها ذهبت في اليوم التالي لعودتها من شهر العسل لزيارة أختها ــ وما كانت بمتزوجة ــ لتصطحبها ، كما كانتا تفعلان من قبل ، الى السوق لشراء بعض الحاجات ، فيما الزوج الشاب قد مضى لشؤونه . وعلى حين غرة أبصرت في الجانب الآخر من الشارع برجل يسير ، وقالت لأختها وقد اشكل عليها قليلا : «انظري ، هوذا السيد ل...» ، وقد سهت عن ان هذا السيد ان هو الا زوجها الذي تزوجته قبل بضعة اسابيع . وقد تركت هذه القصة في نفسي انطباعا مزعجا ، لكني لم اشأ ساعتئذ ان أسلم بالنتيجة التي لاح لي انها تنطوي عليها . ولم أستذكر هذه القصة الا بعد تصرم عدة سنوات : فقد علمت يومئذ بالفعل ان زواج الزوجين الشابين قد آل الى نهاية محزنة .

يورد أ. مايدر Maeder حالة سيدة نسيت ، في اليوم السابق لزواجها ، أن تذهب الى الخياطة لتقيس ثوب عرسها ، ولم تستذكر ذلك الا في ساعة متأخرة من الليل . وهو يربط بين هذا النسيان وبين الطلاق الذي أعقب الزواج بقليل . وأعرف بدوري سيدة ، هي اليوم مطلقة ، اتفق لها تكرارا ، قبل الطلاق بمدة طويلة ، ان وقَّعت بشهرتها قبل الزواج وثائق تتعلق بادارة املاكها . وأعرف حالات نساء أخَر أضعن ، اثناء شهر العسل ، خاتم زواجهن ، وهو شيء اسبغت عليه الاحداث اللاحقة دلالة لا لبس فيها . ومما يروى ان كيمياويا المانياً شهيرا ما قيض له ان يعقد قرانه لانه نسي ساعة الاحتفال ، ولانه بدلا من ان يقصد الكنيسة ذهب الى مختبره . وكان على درجة كافية من الحصافة ليكتفي بهذه التجربة اليتيمة ، وقد مات طاعنا في السن وعازبا.

لعل الفكر ينحو بكم الى الافتراض بأن الهفوات تنوب ، في

جميع الحالات ، مناب الـ Omina ، او التطير لدى القدامى .
وبالفعل ، ان بعض حالات التطير ما كانت تخرج عن ان تكــون هفوات ، كما عندما يتعثر احدهم او يقع . لكن بعض حـــالات التطير الاخرى كان لها طابع الحدث الموضوعي ، لا طابع الفعل الذاتي . لكن ليس لكم أن تتصوروا كم يصعب احيانا ان نقطع في ما اذا كان حدث بعينه يندرج في عداد الفئة الاولى او في عداد الفئة الثانية . فالفعل يعرف في كثير من الاحيان كيف يلبس قناع الحدث السلبي .

ولعل كل من خلّف منكم وراءه ماضيا مديدا حافلا بالتجارب سيقول بينه وبين نفسه انه ربما كان وفّر على نفسه الكثير من الخيبات والمفاجآت المؤلمة لو تأتت له الشجاعة والعزيمة لتأويـل الهفوات التي تقع على صعيد العلاقات فيما بين الناس على انهــا عوارض منذرة ، ولاعتبارها قرائن على مقاصد ونيات لا تـــزال دفينة في الصدور . والحق اننا في اكثر الاحيان لا نجرؤ على فعل ذلك ، لاننا نخشى ان نظهر بمظهر من يرتد الى الخرافــات والمعتقدات الباطلة ، ناكصا عن طريق العلم . وعلى كل حال ، ان النذر لا تتحقق جميعها ، ومتى ما زدتم معرفة بنظرياتنا فهمتم انه ليس من الضروري ان تتحقق جميعها .

المحاضرة الرابعة

الهفوات (خاتمة)

للهفوات معنى ومغزى : تلكم هي النتيجة التي لا مناص لنا من التسليم بها باعتبارها خلاصة التحليل السابق ، والتي ينبغي ان نتخذها اساسا لابحاثنا التالية . ولنقلها مرة اخرى : اننا لا نؤكد (ومثل هذا التوكيد ليس بضروري من منظور الهدف الذي ننشد) ان كل هفوة لها دلالتها ، ولو كنت أعتقد ان ذلك هو المرجح . حسبنا ان نتحقق من ان هذا الهدف متواتر الوجود نسبيا في مختلف أشكال الهفوات . وهناك على كل حال ، ومن هذا المنظور ، اختلافات بين شكل وآخر . ففلتات اللسان وزلات القلم ، الخ ، يمكن ان يكون لها اساس فيزيولوجي محض ، ولو انه يلوح لي ان هذا ضعيف الاحتمال في مختلف صنوف حالات النسيان (نسيان الاسماء والمقاصد ، تعذر الاهتداء الى موضع

الاشياء ، الخ) . كما ان هناك حالات من الضياع لا يتدخل فيها على الارجح اي قصد . واعتقد انه من واجبي أن اضيف ان الاخطاء التي ترتكب في مجرى الحياة لا يمكن الحكم عليها بدالّة وجهات نظرنا الا الى حد معين . وأرجو ان تبقى هذه التحديدات ماثلة في اذهانكم حينما نعتمد منطلقا لأبحاثنا التالية الاطروحة القائلة ان الهفوات افعال نفسية ناجمة عن تداخل قصدين .

تلكم هي النتيجة الاولى للتحليل النفسي . فقبل اليوم لم يكن علم النفس يشتبه على الاطلاق في وجود هذه التداخلات او يعرف شيئا عن الظاهرات التي تنشأ عنها . وقد وسّعنا على هذا النحو مساحة العالم النفسي توسيعا مرموقا ، وادرجنا في مضمار علم النفس ظاهرات ما كانت من قبل تدخل في عداده .

لنقف لحظة اخرى بعد عند الاطروحة القائلة ان الهفوات «أفعال نفسية» . فهل نصادر بهذه الاطروحة على ان للهفوات معنى فحسب ، ام اننا نقصد بها الى ما هو أبعد من ذلك ؟ لا أظن ان ثمة من داعٍ للتوسع في مدلولها . فكل ما يمكن لنا ان نلاحظه في الحياة النفسية نصفه في الارجح بأنه ظاهرة نفسية . والمطلوب فقط ان نعرف هل هذه الظاهرة النفسية او تلك نتيجة مباشرة لعوامل بدنية ، عضوية ، مادية ، وفي هذه الحال تخرج من نطاق البحث السيكولوجي ، ام انها ناشئة بصورة مباشرة عن سيرورات نفسية اخرى تكمن فيما وراءها ، وفي مكان ما ، سلسلة العوامل العضوية . هذا الاحتمال الثاني هو الذي يتجه اليه فكرنا حين نصف ظاهرة ما بأنها سيرورة نفسية ، ولهذا قد يكون اقرب الى الصواب ان نعطي أطروحتنا الشكل التالي : ان الظاهرة ذات دلالة ، ولها معنى ، اي انها تنمّ عن قصد ، عن ميل ومنزع ، وتشغل مكانة معينة في سلسلة من العلاقات النفسية .

ثمة ظاهرات اخرى كثيرة تشبه الهفوات ، لكن هذا الاسم لا يصلح لها . ونحن نسميها **بالافعال العارضة** او **الأعراضية**

Symptomatiques . وهي جميعها تتصف بصفات الفعل العديم الدلالة والحافز ، والمجرد من الاهمية ، وفي المقام الاول ، الفائض عن الحاجة . لكن ما يميزها عن الهفوات بحصر المعنى هو انعدام وجود قصد عدائي ومتعدٍ يعاكس القصد الاول ويعارضه . ثم انها تتداخل وتلتبس ، من جهة اخرى ، مع الحركات والبوادر التي تفيد في التعبير عن الانفعالات . وتندرج في فئة الافعال العارضة هذه جميع الملامسات التي لا هدف لها في الظاهر والتي تصدر عنا عندما نعبث بملابسنا ، او بأجزاء من جسمنا ، او بأشياء في متناول يدنا ؛ وتدخل في عداد هذه الافعال ايضا الالحان التي نترنم بها ، وبوجه العموم سائر الافعال التي نمسك عنها ، كما بدأناها ، بلا دوافع ظاهرة . والحال انني لا أتردد في الجزم بأن جميع هذه الظاهرات دالة ، وقابلة للتأويل بمثل النحو الذي نؤول به الهفوات ، وانها بمثابة نذر وعلائم طفيفة تكشف عن سيرورات نفسية اخرى أجلّ شأنا منها ، وانها أفعال نفسية بملء معنى الكلمة . لكن ليس في نيتي ان أطيل الوقوف عند هذا التوسيع لمضمار الظاهرات النفسية : بل أؤثر استئناف تحليل الهفوات التي تضع نصب أعيننا بكل الجلاء المرغوب أخطر مسائل التحليل النفسي .

ان أهم الاسئلة التي طرحناها بصدد الهفوات والتي لم نجب عنها حتى الان هي التالية : قلنا ان الهفوات تنجم عن تداخل قصدين مختلفين ، يمكن وصف أولهما بأنه متعدى عليه وثانيهما بأنه متعدٍ ؛ فأما المقاصد المتعدى عليها فلا تثير من مشكلة ، وأما فيما يتعلق بالمقاصد المتعدية فيهمنا ان نعرف في المقام الاول ما طبيعة هذه المقاصد القادرة على التعدي على غيرها ، وفي المقام الثاني ما العلاقات التي تقوم بين المقاصد المتعدية والمقاصد المتعدى عليها .

اسمحوا لي ان أتخذ من جديد فلتة اللسان ممثلا لجنس الهفوات جميعا ، وبأن اجيب اولا عن ثاني السؤالين .

ان العلاقة بين القصدين قد تكون علاقة مضمون ، وفي هذه الحال يناقض القصد المتعدي القصد المتعدى عليه او يصححه او يكمله . او قد لا تكون هناك اية علاقة بين مضامين القصدين ، وعندئذ تكون الحالة أشد غموضا وأكثر اثارة للاهتمام .

ان الحالات التي باتت لنا بها معرفة وحالات اخرى مشابهة لها تتيح لنا ان نفهم بلا مشقة اولى تينك العلاقتين . ففي الغالبية العظمى من الحالات التي ينطق فيها المرء بعكس ما كان يريد قوله ، يعبِّر القصد المتعدي عن معارضة للقصد المتعدى عليه ، وتمثل الهفوة النزاع الناشب بين هذين الميلين اللذين لا توفيق بينهما . «أعلن افتتاح الجلسة ، لكن كان بودي لو افضها» : ذلكم هو معنى فلتة لسان رئيس المجلس . وقد كتبت مرة صحيفة سياسية متهمة بالارتشاء ترد التهمة عن نفسها في مقال كان يفترض ان يتلخص بالعبارة التالية : «يشهد قراؤنا على اننا كنا على الدوام الذائدين عن الصالح العام **لغير غرض في انفسنا**». لكن المحرر المكلف بكتابة الرد أسقط كلمة **غير** وكتب يقول : «يشهد قراؤنا على اننا كنا على الدوام الذائدين عن الصالح العام **لغرض في انفسنا**» . وعندي ان المحرر قد كشف لنا بذلك عن دخيلة نفسه : «مفروض فيَّ أن اكتب شيئا ، لكني أعرف ان العكس هو الصحيح» . وقد اراد مرة احد النواب ان يعلن ان الحقيقة لا بد ان تقال للامبراطور **بلا تخاذل** ، لكنه سمع للحال صوتا داخليا يحذره من اجترائه هذا ، فاذا بلسانه يهفو ويستبدل عبارة «بلا تخاذل » Ruckhaltlos بعبارة «بلا تطاول» Ruckgratlos (١) .

اما في الحالات التي يكون فيها قوام فلتة اللسان الادغام او الاختصار ــ وهي حالات تعرفونها ــ فالمسألة هي مسألة

---

١ ــ جلسة الرايخستاغ الالماني ، تشرين الثاني ١٩٠٨ .

تصحيحات واضافات ومتابعات يفصح فيها قصد ثان عن وجوده الى جانب القصد الاول . «انكشفت أمور كثيرة ؛ كلا ، كان قصدي ان اقول : شريرة ، فكانت النتيجة : **انكشرت**» . «من يفهم ذلك من الناس يمكن ان يعدوا **على اصابع يد واحدة** ؛ كلا ، الحق انه لا يوجد سوى **شخص واحد** يفهم هذه الاشياء ؛ اذن فالاشخاص الذين يفهمونها يمكن ان يعدوا على اصبع **واحدة**» . او كذلك : «يستطيع زوجي ان يأكل ويشرب ما **يشاء** ؛ لكني لا اطيق ، كما تعلمون ، ان يشاء شيئا ما؛ اذن فلا بد ان يأكل ويشرب ما **اشاء**» . والفلتة ، في هذه الحالات جميعا ، انما تنجم ، كما تعاينون ، عن مضمون القصد المتعدى عليه بالذات او ترتبط به ارتباطا مباشرا.

أما النوع الثاني من العلاقات بين القصدين المتداخلين فيبدو غريبا بالاحرى . فان لم يكن بين مضمونهما رابط ما ، فما مصدر القصد المتعدي ، وكيف له ان يظهر أثره التعكيري في نقطة محددة بعينها ؟ تتيح لنا الملاحظة ، وهي وحدها القمينة بالاجابة عن هذا السؤال ، ان نتحقق من ان التعكير ينشأ عن تيار افكار كان يشغل ذهن الشخص المعني قبيل الفلتة ، وانه اقتحم عليه خطابه بتلك الطريقة الخاصة ، فقد كان من الممكن ايضا (ولا اقول من الضروري) أن يتلبس تعبيرا آخر . ونحن هناامام صدى بملء معنى الكلمة ، لكنه ليس بالضرورة وعلى الدوام صدى لكلمات منطوقة . وعليه ، توجد هنا ايضا رابطة تداعٍ بين العنصر المتعدي والعنصر المتعدى عليه ، لكن هذه الرابطة ، بدل ان يكون المضمون مصدرها ، اصطناعية خالصة ، وينبع تكوينها من تداعيات قسرية .

هاكم مثالا بسيطا لاحظته بنفسي . التقيت ذات يوم في جبال الدولوميت الجميلة سيدتين فييناويتين ترتديان ملابس السياح . فصاحبتهما بعض الطريق ، وتبادلنا أطراف الحديث عن متع الحياة السياحية ومتاعبها . وأقرت احدى السيدتين بأن يوم السائح لا يخلو من مضايقات ، وقالت : «صحيح انه ليس من

الممتع ان يسير المرء طول النهار تحت وهج الشمس حتى يبتل من العرق سترته وقميصه و...» . ولما وصلت الى هذه الكلمات الاخيرة ترددت قليلا ، ثم اردفت تقول : «لكنه عندما يعود بعد ذلك الى **سرواله** Nach Hose (بدلا من ان تقول : الى بيته Nach Hause) ويبدل ملابسه ...» . نحن لم نحلل بعد فلتة اللسان هذه ، لكني لا ارى من ضرورة لذلك . فقد كانت المراة تقصد ، في جملتها الاولى ، ان تمضي في التعداد : السترة ، القميص، السروال (Hose) . غير ان داعي الحياء دعاها الى الامساك عن ذكر اللباس الداخلي الاخير هذا ؛ فلما نطقت بجملتها التالية ، وهي مستقلة تماما في مضمونها عن الاولى ، ظهرت فيها كلمة Hose ، التي امسكت عن النطق بها في اللحظة المرامة ، وكان ظهورها على شكل تحريف لكلمة Hause .

في مستطاعنا الان ان نعود الى السؤال الرئيسي الذي طالما ارجأنا النظر فيه ، وأعني به : ما تلك المقاصد التي تفصح عن نفسها على هذا النحو الغريب بتعديها على مقاصد غيرها ؟ من البديهي انها مقاصد متباينة أشد التباين ، لكننا نريد مع ذلك ان نستخلص سماتها المشتركة . فلو درسنا على ضوء ذلك طائفة من الامثلة ، لاتضح لنا بسرعة انها قابلة للتصنيف في ثلاث مجموعات. المجموعة الاولى تدخل في نطاقها الحالات التي يكون فيها القصد المتعدي معروفا للمتكلم ، علاوة على ارهاصه به قبل ان يهفو لسانه . وتضم المجموعة الثانية الحالات التي لا يعرف فيها المتكلم ، مع اقراره بأن القصد المتعدي صادر عنه ، ان هذا القصد كان نشطا يفعل فعله في دخيلته قبل ان يزل لسانه بالهفوة . انه يقبل اذن بتأويلنا لهذه الاخيرة ، لكنه لا يملك الا ان يعرب عن دهشته منه . ولعله أيسر علينا ان نجد أمثلة لهذا الموقف في هفوات اخرى غير فلتات اللسان .اما المجموعة الثالثة فتضم حالات يحتج فيها الشخص المعني بقوة على التأويل الذي

نعرضه عليه : فهو لا يكتفي بنفي وجود القصد المتعدي قبل وقوع الفلتة ، بل يؤكد ايضا ان هذا القصد غريب عنـــه كل الغربة . تذكروا اقتراح ذلك المساعد الشاب بشرب «شخب» الرئيس ، ورده الجافي عليّ حين اوضحت لشارب هذا النخب طبيعـــة القصد المتعدي . وتعرفون اننا لم نفلح بعد في الاتفاق على كيفية فهم هذه الحالات . وفيما يتعلق بي ، فان احتجاج المساعـــد الشاب ، شارب النخب ، لا يشوش عليّ فكري ولا ينهاني عـــن التمسك بتأويلي، وذلك ربما بخلاف حالكم انتم: فلعلكم تتساءلون، وقد هالكم انكاره ، عما اذا لم يكن من الخير ان نقلع عن طلب تأويل لحالات من هذا النوع وان نرى فيها محض أفعال فيزيولوجية ، بالمعنى الذي كان لهذه الكلمة قبل عهد التحليل النفسي . ولا يشق عليّ أن أتكهن بعلة موقفكم هذا . فالتأويل الذي أتقدم به يترتب عليه ان الشخص المتكلم قد يفصح عن مقاصد ونيات يجهلها هو نفسه ، بينما أقدر انا على استنتاجها من قرائن معينة . وأنتـم تترددون في قبول هذه الدعوى الغريبة والمثقلة بالعواقب . ومع ذلك ، لو شئتم ان تبقوا ملازمين جانب المنطق في تصوركـــم للهفوات ، القائم على كثرة من الامثلة ، يتعين عليكم ألا تترددوا في قبول هذه الدعوى ، مهما بدت لكم مغربة : فان تعذر عليكم ذلك ، فما عليكم الا ان تنفضوا أيديكم من فهم الهفوات ، على مـــا استأداكم من مشقة وعناء .

لنقف لحظة عند ما يربط بين المجموعات الثلاث التي تقـدم بيانها ، أي عند ما هو مشترك بين الاواليات الثلاث لفلتة اللسان. من حسن الحظ ان يكون لدينا ، من هذا المنظور ، واقعة تقف فوق كل شبهة . ففي المجموعتين الاوليين ، يعترف الشخـــص المتكلم نفسه بالميل المتعدي ؛ ناهيك عن ان هذا القصد المتعـدي يفصح عن نفسه في المجموعة الاولى قبل وقوع الفلتة مباشرة . لكن **القصد المذكور** يكون في المجموعة الاولى كما فـــي الثانية **مقموعا . وبما ان الشخص المتكلم عقد العزم على عدم السماح له**

بالافصاح عن نفسه في كلامه ، نراه يتورط في فلتة لسان ، اي ان القصد المقموع يشف عن وجوده رغم انف الشخص المعني ، إما بتعديله القصد المجهور به ، واما بالاختلاط والالتباس به ، واما اخيرا بالحلول محله . تلكم هي اذن أوالية الفلتة .

ان وجهة نظري هذه تتيح لي ان أفسر بالأوالية نفسها حالات المجموعة الثالثة . فما عليّ الا ان أفترض ان الفارق الوحيد القائم بين مجموعاتي الثلاث فارق في درجة قمع القصد المتعدي. ففي المجموعة الاولى يكون القصد موجودا ومدركا من قبل الشخص المتكلم قبل تظاهره ، وعندما يحدث القمع يقتص منه القصد لنفسه بفلتة اللسان. وفي المجموعة الثانية يكون القمع أشد وافعل ، فلا يتنبه الشخص المتكلم لوجوده قبل بدء التكلم . والمدهش في الامر ان هذا القمع ، على عمقه ، لا يمنع القصد من المشاركة في استحداث الفلتة . وهذا ما يسهل علينا كثيرا تفسير ما يجري في المجموعة الثالثة . ولن أحجم حتى عن الادعاء بأن الهفوة قد تكون تعبيرا عن قصد قمع منذ زمن بعيد ، بل منذ زمن بعيد جدا ، بحيث لا يعود الشخص المتكلم يفطن الى وجوده اصلا ، ويكون صادقا الى حد كبير عندما ينكر هذا الوجود . لكن لو صرفنا النظر عن المشكلة المتعلقة بالمجموعة الثالثة ، فلن يكون امامنا من مناص من التسليم بالنتيجة التي تفرضها ملاحظة حالات اخرى ، وهي ان **قمع الميل الى قول شيء ما هو الشرط اللازم لحدوث الفلتة .**

بوسعنا ان نقول الان اننا أحرزنا تقدما جديدا في فهم الهفوات . فنحن لا نعرف فحسب ان هذه الهفوات أفعال نفسية ذات معنى وتنطوي على قصد ، وأنها تنجم عن تداخل قصدين متباينين ، بل نعرف ايضا ان احد هذين القصدين لا بد ان يكون قد تعرض لشيء من القمع قبل النطق بالكلام كيما يتأتى له ان يتظاهر بتعديه على القصد الآخر . ولا بد ان يكون قد عانى هو

نفسه من التعدي حتى يتمكن بدوره من التعدي على غيره. وغني عن البيان ان هذا لا يوفر لنا فهما كاملا بعد للظاهرات التي نسميها بالهفوات . بل سرعان ما تعرض لنا مسائل اخرى ، ونستشعر بصفة عامة اننا كلما تقدمنا في دراستنا انفسح المجال امامنا لطرح المزيد من المسائل الجديدة . فبوسعنا ان نتساءل ، على سبيل المثال ، ان لم تكن الامور تجري على منوال ابسط بكثير . فعندما يعزم المرء على قمع قصد معين ، بدلا من ان يتركه يفصح عن نفسه ، فالمفروض ان تواجهنا حالة من اثنتين : إما ان ينجح القمع ، وعندئذ لن يظهر شيء من القصد المتعدي ؛ واما أن يفشل القمع ، وعندئذ لا مفر من ان يفصح هذا القصد عن نفسه على نحو سافر وكامل . لكن الهفوات تنجم عن تسوية وحل وسط ؛ فهي تدل ان القمع حقق نجاحا جزئيا ومني بفشل جزئي ، وأن القصد المهدَّد ان لم يكن قد انتفى بتمامه فقد جرى قمعه بالقدر الذي يكفي ليحول بينه وبين التظاهر كما هو ، بلا تحريف ، فيما عدا حالات استثنائية . ومن حقنا ان نفترض ان حدوث ذلك التداخل او تلك التسوية على اساس الحل الوسط مرهون ببعض شروط خاصة ، لكننا لا نملك اية فكرة عن طبيعة هذه الشروط . ولا أعتقد ان المزيد من التبحر في دراسة الهفوات من شأنه ان يساعدنا على اكتشاف هذه الشروط المجهولة . فللوصول الى هذه النتيجة ، لا بد لنا ان نرود ونستكشف بالاول مناطق مظلمة اخرى من الحياة النفسية ؛ ووحدها التشابهات التي سنقع عليها فيها ستمدنا بالشجاعة اللازمة لصياغة الفرضيات القمينة بإيصالنا الى تفسير أكمل للهفوات . لكن هناك شيئا آخر : فحتى عندما ينهض عملنا وبحثنا على قرائن طفيفة ــ شأننا هنا ــ نبقى عرضة لبعض الاخطار . وأذكر بهذا الصدد ان هناك مرضا نفسيا يسمى **بالبارانويا التركيبية** ، والمصاب به يسرف اسرافا شديدا لا حد له في استخدام القرائن الطفيفة ، ولا يسعني بطبيعة الحال ان أجزم بأن كل النتائج التي تستنتج منها صحيحة . ولن يتسنى

لنا ان نتفادى هذه المخاطر الا اذا بنينا ملاحظاتنا على اعـــرض اساس ممكن ، وذلك بفضل تكرار الانطباعات عينها ، كائنا ما كان مضمار الحياة النفسية الذي نروده ونستكشفه .

سنتوقف اذن هنا عن تحليل الهفوات . غير اني سأوصيكم بما يلي : أن احفظوا في ذاكراتكم الطريقة التي عالجنا بها هـــذه الظاهرات على انها أنموذج . وعلى ضوء هذه الطريقة يتسنى لكم من الان ان تتبينوا ما المقاصد التي يرمي اليها علمنـــا النفسي . فنحن لا نريد فقط ان نصف الظاهرات ونصنفها ، بل نبغي ايضا ان ننظر اليها على انها قرائن على اصطراع قوى بعينها في النفس، وعلى انها تعبير عن ميول تسعى الى بلوغ هدف محدد ، إمـــا متضافرة واما متنافرة . وما نسعى اليه نحن هو تكوين **تصـــور دينامي** عن الظاهرات النفسية . وعندنا ان الظاهرات الواقعة تحت الادراك لا بد ان تكون ضئيلة الاهمية بالمقارنة مع الميول المفترضة افتراضا لا غير .

لن نمضي اذن في دراسة الهفوات ؛ غير انه لا يزال بوسعنا ان نقوم في هذا الميدان بجولة خاطفة نلتقي فيها بأشياء معروفة لدينا من قبل ، ونكتشف بعض اشياء اخرى جديدة . وتمهيـدا لذلك نعلن من جديد تمسكنا بالتقسيم الثلاثي الذي اعتمدناه في مستهل مبحثنا : أ ــ فلتة اللسان وتفريعاتها الى زلات قلـــم وأغلاط قراءة وسوء سمع ؛ ب ــ النسيان وتفريعاتـــه بحسب الموضوع المنسي (أسماء الأعلام ، الالفاظ الاجنبية ، المشاريع ، الانطباعات) ؛ جـ ــ الإخطـاء Méprise ، تضييـــع الاشياء ، واستحالة الاهتداء الى موضعها . أما الاغلاط فلا تعنينا الا مـــن حيث ارتباطها بالنسيان ، او بالإخطاء ، الخ .

لقد أسهبنا في الكلام عن فلتة اللسان ، ومع ذلك لا يزال لدينا ما نود ان نضيفه بصددها . ففلتة اللسان ترتبط بها ظاهرات وجدانية طفيفة ليست غفلا من الاهمية . فالمرء لا يعترف عن طيب

خاطر بأنه تورط في فلتة لسان ، وكثيرا ما يتفق له ان يفوتــه سماع الفلتة التي هفا بها لسانه ، بينما لا يفوته البتة سماع الفلتة التي يهفو بها لسان غيره . كذلك فان الفلتة معدية الى حد ما ؛ فليس يسيرا على المرء ان يتكلم عن الفلتات من دون ان يتورط هو نفسه في واحدة منها . وحتى الفلتات العادمة الدلالة ، والتي لا تعلمنا شيئا ذا بال عن السيرورات النفسية الخفية ، لها مع ذلك أسبابها التي لا يعسر كشفها . فحين يقع المرء في اضطراب مــا وهو ينطق بكلمة بعينها ، كأن يقصر حرف مد ، نراه لا يتخلف عن مد حرف القصر التالي مباشرة ، مرتكبا بذلك فلتة جديدة ترمي الى التعويض عن الاولى . وكذلك الامر عندما يدغم المرء عن خطأ او اهمال حرفين متماثلين متتاليين : اذ نراه يعمل على تصحيح خطئه بفكه ادغام الحرف المضعَّف التالي مباشرة ؛ فكأني بالشخص المتكلم يحرص على ان يظهر لسامعه انه يعرف لغة قومه وأنه ليس ممن يستهينون بالنطق الصحيح . فالتحريف الثاني ، الــذي يسعنا وصفه بأنه تعويضي ، يهدف على وجه التحديد الى لفت انتباه السامع الى التحريف الاول والى إفهامه انه تنبه له هــو نفسه . ان ابسط انواع الهفوات وأكثرها تواترا وانعدام دلالة تكمن في ادغامات واستباقات تطرأ على أجزاء غير بارزة مــن الكلام . فالفلتة التي يهفو بها لسان المرء ، اثناء نطقه بجملة طويلة بعــض الشيء على سبيل المثال ، هي ان يلفظ استباقا بآخر كلمة ممــا يريد قوله . وهذا يوحي وكأن الشخص المتكلم ضاق ذرعــا بالجملة ، فأراد انهاءها كيفما اتفق ، وينمّ اجمالا عن نفــور الشخص المعني من توصيل هذه الجملة او عن رغبة في الامساك عن الكلام نهائيا . وهذا يقودنا الى الحالات التي هي بين بين والتي يتلاشى فيها الفارق بين التصور التحليلي النفسي لفلتة اللسان وبين تصورها الفيزيولوجي المعتاد . ونحن نزعم ان هذه الحالات تنطوي على ميل يشوش القصد المفروض بالكلام ان يفصح عنــه ويتعدى عليه ؛ لكن هذا الميل يعلن عن وجوده فقط ، وليس عن

الهدف الذي ينشده . أما التشويش الذي يحدثه فيجري في قناة بعض المؤثرات الصوتية او بعض التداعيات اللفظية ، ومن الممكن اعتباره وسيلة لصرف الانتباه عما يراد قوله . لكن لا تشتيت الانتباه هذا ، ولا تداعيات الالفاظ هذه ، بكافيين لتحديد طبيعة السيرورة . ولئن كان كلاهما ينمان عن وجود قصد متعد، الا اننا لا نستطيع ان نعرف شيئا عن طبيعة هذا القصد من مفاعيله وآثاره ، كما نستطيع ذلك في الحالات الواضحة الثابتة.

اطرق الان باب كبوات القلم التي تشبه فلتات اللسان الى حد يتعذر معه ان تمدنا بوجهة نظر جديدة . لكن لنحاول مع ذلك ان ننبش ما يمكن نبشه في هذا المضمار . فالاغلاط ، والادغامات ، وتسبيق رسم الكلمات ، وعلى الاخص الكلمات التي يفترض ان يأتي ترتيبها في الاخير ، كل هذه الظاهرات تشهد بجلاء على سأم من الكتابة وعلى جزع الى الفراغ منها ؛ فاذا كانت مفاعيل كبوة القلم ونتائجها اكثر بروزا ، امكن لنا ان نتعرف طبيعة الميل المتعدي وقصده . ونحن نعرف بصفة عامة ، حين نقع على زلة قلم في رسالة ، ان الشخص الذي كتب هذه الرسالة لم يكن في حالته الطبيعية مئة بالمئة ؛ ولكننا لا نستطيع دائما ان نعرف ما كان خطبه . ومن يزل به قلمه ، مثله مثل من يهفو به لسانه ، نادرا ما يتنبه الى خطئه . وهنا ننوه بالملاحظة التالية المثيرة للاهتمام : فهناك من الناس من درج على معاودة قراءة ما يخطه من الرسائل قبل ارسالها ؛ ومنهم من لا يفعل ذلك ، ولكن ان اتفق له ان عاود القراءة ، تسنى له دوما ان يعثر على غلطة فاضحة وان يصححها . فكيف نفسر هذا الامر ؟ لكأني بهؤلاء الاشخاص يعرفون ان قلمهم كبا بهم وهم يكتبون . فهل لنا ان نسلم بهذا فعلا ؟

أما الاهمية العملية لزلات القلم فتتضح من المشكلة الطريفة التالية . فلعلكم تذكرون قصة السفاح ه الذي أوهم الناس بأنه اختصاصي في دراسة الجراثيم ، فكان يحصل من المعاهد العلمية

على جراثيم مزروعة ذات اثر إمراضي شديد الخطورة ، ويسخّر هذه المزروعات للقضاء بمثل هذه الطريقة العصرية جدا على من تجمعهم وإياه صلة جوار من الناس . وقد وجه هذا الرجل يوما الى ادارة معهد من تلك المعاهد رسالة يتشكى فيها من عدم فعالية المزروعات التي أرسلت اليه ، لكن قلمه كبا به ، فكتب : «في تجاربي على الجيران» ، بدلا من «تجاربي على الفيران» . وقد استرعت هذه الزلة انتباه اطباء المعهد المذكور . ولكن من دون ان يستخلصوا منها ، على حد ما أعلم ، اي استنتاج . أفلا تعتقدون انه كان من المرجّى لو اتخذ الاطباء من هذه الزلة اعترافا وإقرارا، وطالبوا بتحقيق كان من شأنه ان يضع في وقت مبكر حدا لجرائم ذلك السفاح ؟ الا ترون ان الجهل بتصورنا للهفوات كان في تلك الحالة سببا في تأخير يؤسف له اشد الاسف ؟ اما فيما يتعلق بي ، فما كانت تلك الزلة لتفوتني من دون ان تبتعث في نفسي ريبة كبيرة ؛ لكن اتخاذها إقرارا واعترافا تنهض دونه عقبات كأداء . فالامر ليس من البساطة ما يبدو . فزلة القلم قرينة لا مراء فيها، لكنها لا تكفي وحدها لتبرير فتح تحقيق جنائي . صحيح انها تشهد على ان الرجل مشغول البال بفكرة نقل العدوى الى أقرانه، لكنها لا تبيح لنا ان نفصل في ما اذا كانت هذه الفكرة صادرة عن خطة مبيتة لاقتراف الشر ، ام هي مجرد تخيل لا تترتب عليه اية نتيجة عملية . بل من المحتمل ان يجد الرجل الذي تورط في زلة القلم تلك خير الحجج الذاتية لإنكار هذا التخيل وللتنصل منه كما لو كان غريبا عنه كل الغربة . وستزدادون فهما لهذه الاحتمالات والامكانيات متى ما عرضنا لاحقا للفارق بين الواقع النفسي والواقع المادي . على ان هذا لا يغير شيئا في واقع ان الحالة التي فصّلناها هي من الحالات التي تكتسب فيها الهفوة في زمن تالٍ اهمية غير منتظرة .

وان انتقلنا الان الى عثرات القراءة ، واجهنا موقف نفسي يختلف اختلافا بيّنا عنه في فلتات اللسان وكبوات القلم . فأحد

القصدين المتصارعين ينوب منابه هنا تنبيه حسّي ، وهذا ما يجعله أضعف مقاومة . فما نقرؤه لا ينبثق من حياتنا النفسية ، نظير الاشياء التي قد نشاء كتابتها . لذا يكون قوام عثرات القراءة في أغلب الاحوال ابدالا شاملا . فالكلمة المطلوب قراءتها تستبدل بأخرى ، من دون ان تكون هناك بالضرورة صلة مضمون بين النص وبين محصلة الخطأ ، على اعتبار ان الابدال يتم بوجه عام بدالة تشابه بسيط بين الكلمتين . ومثال ليختنبرغ ، الذي كان يقرأ Agamemnon بدلا من Angenommen ، خير ما يمكن سوقه من أمثلة على هذه الفئة من الهفوات . وان شئنا ان نكتشف القصد المتعدي ، المتسبب في العثرة ، فلا بد ان نضرب صفحا عن النص المغلوطة قراءته وأن نبدأ الفحص التحليلي بطرحنا هذين السؤالين : ما اول فكرة تخطر بالبال ، وتكون اقرب الفكرات الى العثرة ؟ وما الوضع الذي تحدث فيه هذه العثرة ؟ وقد تكون معرفة الوضع كافية احيانا بحد ذاتها لتفسير العثرة . ومن ذلك ان رجلا كان يتجول في مدينة غريبة ، فألحت عليه حاجة طبيعية، فأبصر في اعلى الطابق الاول من احد المنازل لافتة كتب عليها : « مرحاض » Closet Haus . وما كادت تأخذه الدهشة لوجود اللافتة على مثل هذا الارتفاع ، حتى ادرك انه كان ينبغي ان يقرأ «محل مشدات خصور» Corset Haus . وفي حالات اخرى ، تتطلب العثرة ، على وجه التحديد لانها مستقلة عن مضمون النص، تحليلا معمقا لا يصل الى مبتغاه ما لم يكن القائم به متمرسا بتقنية التحليل النفسي وله بها ثقة . لكن تفسير عثرة القراءة أيسر من ذلك شأنا بكثير في غالب الاحوال . فكما في مثال ليختنبرغ تنم الكلمة البديلة بغير عناء (**اغاممنون** بدلا من **انغينومن**) عن تيار الافكار الذي كان مصدر التشويش . وكثيرا ما يتفق للمرء ، في زمن الحرب مثلا ، ان يقرأ اسماء مدن وقادة عسكريين وتعابير عسكرية من تلك التي تقرع سمعه في كل آن وحين، كلما وقع نظره على

كلمات بها بعض الشبه بتلك الاسماء والتعابير . فما يشغل بالنا ويستأثر باهتمامنا يحل محل ما هو غريب عنا وما لا نأبه له بعد. فانعكاسات افكارنا تشوش علينا ادراكاتنا الجديدة .

وكثيرا ما تقع عثرات في القراءة عندما يوقظ النص المقروء نفسه نزعة متعدية غافية ، لا تعتم ان تحرّفه وان تقلبه في اكثر الاحيان الى نقيضه . ومثل هذه العثرات تنم عن عدم رغبة في القراءة ، والتحليل كفيل بأن يظهر لنا ان الرغبة المضطرمة في تحاشي المقروء هي المسؤولة عن تحريفه .

ان العاملين اللذين عزونا اليهما دورا هاما فـي الهفوات لا يلعبان في اكثر عثرات القراءة ذيوعا ، من أشباه تلك التي ذكرناها في مستهل هذه الفقرة ، سوى دور ثانوي للغاية : ونعني بهذين العاملين النزاع بين القصدين وقمع احدهما قمعا يجبره على الرد بالتظاهر من خلال الهفوة . ولا نقصد بذلك ان في عثرات القراءة ما يتعارض وهذين العاملين، وانما يكون إلحاح تيار الافكار الذي يتسبب في عثرة القراءة اقوى بكثير من القمع الذي يكون هـذا التيار قد تعرض له من قبل . وأجلى ما يكون تأثير العاملين المشار اليهما في الظروف المختلفة التي تحدث فيها الهفوة الناشئة عن النسيان .

ان نسيان المقاصد والمشاريع ظاهرة لا يصطدم تفسيرها بأية صعوبة، ولا يماري فيهحتى عامة الناس، كما أسلفنا البيان. فالميل الذي يشوش تنفيذ مشروع من المشاريع هو على الدوام قصـد مضاد ، رغبة معاكسة ، وكل المطلوب منا ان نعرف لماذا لا تفصح عن نفسها على نحو مغاير وبصورة أقل تنكرا وخفاء . وقد نفلح احيانا في معرفة شيء عن الاسباب التي تقتضي اخفاء تلك الرغبة المضادة : ذلك انها عندما تتنكر تدرك على الدوام هدفها وتحققه في الهفوة ، في حين انها تعرف عن ثقة بأنها ستنحى جانبـا وتنبذ فيما لو اعلنت عن نفسـها بصفتها رغبة مناوئة سافرة . واذا ما طرأ ، في الفترة الفاصلة بين التصميم على مقصد من المقاصد

وبين تنفيذه ، تغير هام في الموقف النفسي ، من شأنه ان يلغي الحاجة الى تنفيذ هذا المقصد ، فان نسيان هذا الاخير لا يعود ضربا من الهفوة ، كما لا يعود يثير الاستغراب ، اذ يغدو واضحا للعيان ان تنفيذ المقصد امر لا طائل فيه في ظل الموقف النفسي المستجد . والحق انه لا يجوز لنا اعتبار نسيان المقاصد ضربا من الهفوات الا في الحالات التي لا نعتقد فيها بوجود مثل هذا التغير في الموقف .

ان حالات نسيان المقاصد هي بوجه عام على درجة من الجلاء ووحدة النمط بحيث لا تنطوي على فائدة بالنسبة الى مبحثنا هذا . بيد ان دراسة هذا الصنف من الهفوات يمكن ان تفيدنا بشيء جديد في ناحيتين . فقد قلنا ان النسيان ، اي عدم تنفيذ مقصد من المقاصد ، ينمّ عن رغبة مضادة مناوئة له . وهذه حقيقة ثابتة ، لكن الرغبة المضادة يمكن ان تكون ، بحسب ما نستدله من بحوثنا ، مباشرة او غير مباشرة . وخير ما نفعله لإيضاح ما نعنيه بالرغبة غير المباشرة ، ان نسوق مثالا او مثالين . فعندما ينسى الوصي ان يزكي ربيبه لدى شخص ثالث ، فقد يكون مرد نسيانه الى انه لا يهتم لربيبه اهتماما فعليا ، فلا تساوره رغبة حقيقية في تزكيته . او هكذا على الاقل سيفسر الربيب نسيان الوصي . لكن الوضع قد يكون اكثر تعقيدا . فقد يكون عزوف الوصي عن تنفيذ ما عزم عليه نابعا من مصدر آخر وقابلا للتفسير على نحو آخر . وعلى الاخص ، قد لا يكون للربيب من ضلع بالنسيان الذي قد يكون متعينا بدوره ، في هذه الحال ، بأسباب تتعلق بالشخص الثالث . وانتم ترون من هذا مدى ما قد يكون من صعوبة في الاستخدام العملي لتأويلاتنا . فالربيب، رغم صحة تأويله، يعرّض نفسه لخطر الاسراف في الريبة ووقوف موقف غير منصف من وصيه . خذوا ايضا مثل شخص ضرب موعدا لآخر ، وعقد العزم على موافاته اليه ، ثم أخلف وعده من

جراء النسيان . ان تفسير هذا النسيان ينبغي البحث عنه في معظم الحالات ، وبحسب ظاهر الحق ، في وهن الود الذي يكنه الناسي للشخص الذي كان يفترض به ان يلاقيه . لكن قد يدل التحليل ، في هذه الحال ، ان القصد المتعدي لا صلة له بالشخص المضروب له الموعد ، بل بالمكان الذي ضرب فيه هذا الموعد ، وان المخلف وعده كان يعاف التواجد فيه لارتباطه بذكرى مؤلمة . وهاكم مثالا آخر : فحين ينسى المرء ان يرسل رسالة كتبها ، فقد يكون مرد القصد المتعدي الى مضمون الرسالة ذاته ؛ لكن من الممكن ايضا ان يكون هذا المضمون عاديا تماما بحد ذاته ، لكنه ينطوي على شيء يذكّر بمضمون رسالة اخرى ، كتبت في زمن سبق ، فيتحول مباشرة الى مصدر للقصد المتعدي ؛ وعندئذ يجوز لنا القول ان الرغبة المضادة امتدت من الرسالة السالفة – حيث كان لها ما يبررها – الى الرسالة اللاحقة التي لا تبررها على الاطلاق. وهكذا ترون انه لا مناص لنا من مراعاة الحذر والحيطة ، حتى في تأويلاتنا التي تبدو في الظاهر على درجة كبرى من الصحة والدقة ؛ ذلك ان ما يكون ذا مدلول واحد من وجهة النظر السيكولوجية ، يمكن ان يكون قابلا لتأويلات عدة من وجهة النظر العملية .

قد يلوح لكم ان أمثال هذه الظاهرات التي حدثتكم عنها خارقة للمألوف . وقد تتساءلون عما اذا لم تكن الرغبة المضادة «اللامباشرة» هي التي تضفي طابعا مرضيا على السيرورة . لكن بوسعي ان أجزم لكم ان هذه السيرورة لا تتنافى ايضا مع حالة الصحة والسواء . غير اني ارجو ان تحسنوا فهمي . فلست أميل بحال الى التسليم بأن تأويلاتنا التحليلية تكتنفها الريبة ولا يركن اليها . وامكانية تعدد تأويلات نسيان المقاصد تبقى قائمة فقط ما دمنا لما نشرع بعد بتحليل الحالة ، وما دامت تأويلاتنا لا تستند الى اساس غير فرضياتنا ذات الصفة العامة . أما عندما ننكب على تحليل الشخص المعني ، فاننا نتحقق مما اذا كانت الرغبة المضادة

مباشرة ونعرف بتيقن كاف ما المصدر الذي تنبع منه .

هذا من ناحية اولى ؛ اما من الناحية الثانية فاننا متى ما تثبتنا من ان نسيان المقاصد يرتد في عدد كبير من الحالات الى رغبة مضادة ، كان لنا في هذا ما يشجعنا على تعميم النتيجة نفسها على سلسلة اخرى من الحالات التي لا يكتفي فيها الشخص المحلّل بعدم تأكيد وجود الرغبة المضادة التي استنتجناها ، بل ينكرها ايضا انكارا باتا . خذوا مثالا على ذلك كثرة الحالات التي ينسى فيها المرء ان يعيد الكتب التي استعارها ، او ان يدفع الفواتير ، او ان يسدد الديون . من الواجب اذن ان تكون لنا الجراة على مجاهرة الشخص المعني بأنه عاقد النية في دخيلة نفسه على الاحتفاظ بالكتب وعلى عدم تسديد الديون ، حتى وان انكر هذا الشخص ما ننسبه اليه من نية ، ولكن من دون ان يقدر على تعليل مسلكه لنا بأسباب اخرى . اننا سنقول له ان هذه نيته ، وان كان لا يفطن اليها ، وانه حسبنا نحن ان تنمّ عن نفسها بمفعول النسيان . وسيجيبنا الشخص المعني انه لهذا على وجه التحديد لا يتذكرها . وهكذا تروننا ننتهي الى وضع كنا قد مررنا به من قبل . فحرصنا على المضي بتأويلاتنا للهفوات الى نهاياتها المنطقية، علىما تتسم بههذه التأويلات من تنوع وما ترتكز اليه من مسوغات ، قادنا الى الافتراض بأنه توجد لدى الانسان ميول ونزعات قادرة على ان تفعل فعلها من دون علمه ودرايته . لكننا بصياغتنا هذه الاطروحة وقفنا موقف المعارضة من جميع التصورات المعتمدة الشائعة في الحياة وفي علم النفس .

ان نسيان أسماء الأعلام والاسماء والالفاظ الاجنبية ، قابل بدوره للتفسير بقصد معاكس يرتبط بصورة مباشرة او غير مباشرة بالاسم او باللفظ المنسي . وقد ضربت لكم آنفا عدة أمثلة على النفور المباشر من الاسماء والالفاظ . لكن التعيين اللامباشر هو الغالب في هذا النوع من حالات النسيان ، ولا سبيل في اكثر

الاحوال للكشف عنه الا بتحليل دقيق . هكذا وجدنا الحرب الاخيرة ، بما اضطرتنا اليه من العزوف عن كثير من مباهجنا السالفة ، قد خلقت في نفوسنا متداعيات غريبة عجيبة كان من نتيجتها إصابتنا بالوهن في تذكر اسماء الأعلام . فقد اتفق لي مؤخرا ان عجزت عن استذكار اسم مدينة بيزنس Bisenz الموارفية الوديعة ، وقد دل التحليل ان مرد ذلك ليس الى صدود في نفسي عن هذه المدينة ، وان النسيان ناجم بالاحرى عن التشابه الذي بين اسمها واسم قصر بيزنسي Bisenzi في اورفييتو Orvieto ، وكنت قد أزجيت فيه أوقاتا هنيئة فيما غبر من الايام . وهنا يواجهنا ، لاول مرة ، مبدأ سيتكشف لنا لاحقا مدى اهمية الدور الذي يلعبه ، من منظور التعليل القصدي لنسيان الاسماء ، في تعيين الأعراض العصابية : ونعني به رفض الذاكرة استحضار ذكريات مقترنة بمشاعر مؤلمة ، ذكريات من شأنها لو استحضِرت أن تجدد مشاعر الالم هذه . ولزام علينا ان نتعرف في هذا الميل الى تحاشي الكدر الذي قد تسببه الذكريات او غيرها من الافعال النفسية ، في هذا الفرار النفسي من كل ما هو مؤلم موجع ، العلة الغائية الفعلية لا لنسيان الاسماء فحسب ، بل ايضا لكثير من الهفوات ، كالسهو والغلط ، الخ .

لكن يبدو ان ثمة عوامل نفسية ــ فيزيولوجية تسهّل نسيان الاسماء بوجه خاص ؛ لذا قد نلحظ حدوثه حتى في الحالات التي لا يتدخل فيها اي عنصر ذي صلة بإحساس مكدر. وحين تواجهون شخصا به ميل الى نسيان بعض الاسماء ، فسيتيح لكم البحث التحليلي على الدوام ان تتحققوا من انه اذا كانت بعض الاسماء تغيب عن ذاكرته فليس ذلك لنفور به منها او لانها تذكره بما يكره ، بل لانها تنتمي الى دائرة اخرى من دوائر التداعي وتتصل بها اتصالا اوثق . فلكأن هذه الاسماء قد ربطت الى هذه الدائرة وسمِّرت بها ، ومنعت عن التداعيات التي قد تتكون تبعا

للظروف . فلو تذكرتم ما يلجأ اليه بعض الناس من حيل لتقوية ذاكرتهم ، لأدركتم بشيء من الدهشة ان الاسماء تنسى بفعل نفس الترابطات التي يصطنعها المرء عن قصد وعمد ليتحاشى نسيانها . ومن الامثلة النموذجية على ذلك اسماء الاشخاص التي لا بد ان يكون لها ــ هذا بدهي ــ دلالة نفسية مختلفة عند الناس تبعا لاختلافهم بدورهم . خذوا اسم «تيودور» مثلا . فهو لا يعني شيئا بالنسبة الى بعضكم ، لكنه عند بعضكم الآخر اسم اب او اخ او صديق او اسمه الشخصي بالذات . وستدلكم التجربة التحليلية ان الفريق الاول بمنجى من ان ينسى ان ثمة شخصا اجنبيا يحمل هذا الاسم ، بينما سينزع الفريق الثاني على الدوام الى ان يضن على الغريب باسم يلوح له انه وقف على معارفه الشخصيين . فاذا ما أضفتم الان الى هذا العائق الترابطي تأثير مبدأ الكدر ومبدأ وجود اوالية غير مباشرة ، امكنكم ان تكوّنوا فكرة مطابقة عن درجة تعقيد اسباب النسيان المؤقت لاسم من الاسماء . غير ان التحليل المعمق كفيل بأن يحل جميع خيوط هذه العقدة المتشابكة .

ان أثر الميل الى عدم تذكر كل ما هو مستكره اشد بروزا وأكثر اطرادا في نسيان الانطباعات والاحداث المعاشة منه في نسيان الاسماء . وهذا الضرب من النسيان لا يجوز لنا اعتباره من قبيل الهفوات الا بقدر ما يبدو لنا ، على ضوء خبرتنا اليومية، باعثا على الدهشة ولا مبرر له ، اي حين يطال النسيان ، مثلا ، انطباعات قريبة العهد او جليلة الشأن ، او انطباعات تنشأ عن غيابها ثغرة في مجموعة متكاملة من الذكريات الراسخة التي لا تنتسى ابدا. فلماذا وكيف يمكن لنا ان ننسى بصورة عامة، او على الاخص ، احداثا تركت في نفوسنا اعمق الانطباعات كأحداث السنوات الاولى من طفولتنا ؟ ان هذه لمشكلة تختلف عما نحن بصدده كل الاختلاف ، وقد نستطيع ، في مسعانا الى حلها ، ان

نعزو دورا ما الى الاحتماء من الاحاسيس المؤلمة ، ولكن شرط التنبه مقدما الى ان هذا العامل يبعد عن ان يفسرها بتمامها . ان سهولة نسيان الانطباعات المستكرهة واقعة لا جدال فيها . وقد تنبه العديد من علماء النفس لهذه الواقعة التي كان لها وقع عميق في نفس داروين العظيم حدا به ان يتخذ لنفسه «قاعدة ذهبية» بأن يدوّن بعناية خاصة الملاحظات التي تبدو له معارضة لنظريته والتي لا تريد ، كما تسنى له ان يتحقق ، ان تتثبت وترسخ في ذاكرته .

ان من يسمع لاول مرة ان النسيان وسيلة دفاعية للاحتماء من الذكريات المؤلمة لا يتخلف ، الا فيما ندر ، عن ابداء الاعتراض التالي بالاستناد الى خبرته الذاتية : ان الذكريات المؤلمة هي التي تستعصي بالاحرى على النسيان ، وهي التي تعاود المرء مرارا وتكرارا ، مهما يفعل ليكتمها ويقمعها ، وتقض مضجعه بلا انقطاع، ومنها على سبيل المثال ذكريات الهوان والمذلة . هذا حق لا ريب فيه ، لكن الاعتراض باطل . وخليق بكم الا يغرب عن بالكم ان الحياة النفسية ميدان حرب وحلبة صراع تتواجه فيها ميول ونزعات متعارضة ، او انها ، بلغة أقل دينامية ، تتألف من متناقضات وازواج من الاضداد . فاذا ما أثبتنا وجود ميل معين ، لا نكون قد اثبتنا بذلك عدم وجود اي ميل آخر يفعل فعله في اتجاه معاكس . فثمة مجال لكل منهما . وبيت القصيد ان نعرف العلاقات التي تقوم بين هذين الميلين المتناقضين ، والافعال التي تصدر عن كل منهما .

ويحظى منا ضياع الاشياء وتعذر الاهتداء الى موضعها باهتمام خاص ، بسبب تعدد التأويلات التي تصلح لهاتين الهفوتين ، وتنوع الميول التي تصدعان بأمرها . والشيء المشترك بين الحالات جميعا هو ارادة التضييع ؛ أما ما يميز حالة عن اخرى فهو سبب التضييع وهدفه . فالمرء يضيع الشيء ان رثّ وبلي ، او ان عقد النية على استبداله بآخر أحسن منه ، او عافته نفسه ، او ان

جاءه من شخص لم يعد يجمعه وإياه ود موصول ، او ان حازه في ظروف لا يطيب له ان يعود الى التفكـــــير بها وتذكرها .
وإسقاط الاشياء او اتلافها او كسرها قد يخدم الغايات نفسها .
وقد دلت التجربة في الحياة الاجتماعية ان الاطفال الذين يولدون خارج نطاق الزواج ويكون وجودهم مفروضا هم اكثر هشاشـــة وخرعا بكثير من الاطفال المعترف بشرعيتهم . وليس هذا مـــن نتيجة اللجوء الى بعض الوسائل البدائية في محاولة اجهاضهم ، بل مرده الى قلة ما يحظون به من عناية . ولعله من الممكن ان نفسر المحافظة على الاشياء بمثل ما نفسر به المحافظة على الاطفال .

على ان الناس يضيعون في حالات اخرى اشياء لم تفقـــد شيئا من قيمتها ، ويكون دافعهم الاوحد الى ذلك التضحيـــــة بشيء اتقاء لشر الحسود وتلافيا لفقدان شيء آخر أعز قيمة بكثير.
ويدلنا التحليل ان هذه الطريقة لتحاشي النحس واتقاء شر الاقدار لا تزال شائعة لدينا ، ولهذا السبب فان ضياع اشيائنا هو فـي كثير من الاحيان قربان متعمد . وقد يكون ضياع الاشياء ايضـا تعبيرا عن كيد او تكفيراً عن ذنب . وخلاصة القـــول : عديدة لا تحصى هي الدوافع والحوافز البعيدة والعميقة للنزوع الـــى التخلص من الاشياء بفقدها .

اما الإخطاء Méprise فكثيرا ما يكون ، مثله مثل سائر الهفوات ، وسيلة لتحقيق رغبات كان يجدر بالمرء ان ينكرها على نفسه . وفي هذه الحال يلبس القصد لبوس المصادفة الموافقة .
ومثال ذلك ان واحدا من اصدقائنا استقل القطار الى ضواحـي المدينة ليقوم بزيارة عن غير رغبة منه ، لكنه اخطأ في محطة التبديل فأخذ القطار الذي يعيده الى المدينة . وقد يرغب الانسان ايضا، اثناء رحلة له ، في التوقف في محطة وسيطة ، مع ان مثل هذا التوقف يتعارض والتزاماته الاخرى ، فاذا به يفوته ، كما لـــو مصادفة واتفاقا ، قطار التبديل ، الامر الذي يتيح له في خاتمة الحساب ان يتوقف بحسب رغبته . وأستطيع ايضا ان اضرب لكم

مثال مريض من مرضاي كنت قد نهيته عن الاتصال بعشيقتـــه هاتفيا ، فاذا به كلما شاء مكالمتي «يخطىء» ويطلب «عن غير عمد» رقما آخر هو بالتحديد رقم عشيقته . وهاكم اخيرا قصة فصيحة الدلالة رواها لنا احد المهندسين ، وتنطوي على اهمية عملية كبيرة من حيث انها تجعلنا نلمس لمس اليد مقدمات إتلاف الاشياء بنتيجة الإخطاء :

«كنت اقوم ، قبل فترة من الزمن ، مع عدد من زملائي في المدرسة العليا بسلسلة من التجارب الشديدة التعقيد حـــول المرونة ، وهو عمل كنا قد تطوعنا بالقيام به مجانا ، لكنه بـــدأ يستنفد منا وقتا أطول مما كنا نتوقع . وفيما انا قاصد ذات يوم المختبر مع زميلي ف ، صارحني ببرمه بما سيضيعه من وقت في ذلك اليوم ، مع ان الاعمال التي تنتظره في بيته كثيرة . ومـــا وسعني الا ان أوافقه ، وقلت له مازحا وملمحا الى حادثة وقعت في الاسبوع المنصرم : «لنأمل ان تتعطل الآلة اليوم كما في المـرة السابقة ، فيتاح لنا ان نوقف العمل وننصرف في وقت مبكر !» . ولدى توزيع العمل ، كان من نصيب زميلي ف أن كلف بضبـــط صمام المكبس ، بحيث ينساب سائل الضغط من المركم الـــى اسطوانة الضغط المائي ببطء وتؤدة . وكان المشرف على التجربة يقف قرب المانومتر (٢) ، وكان عليه اذا ما وصل الضغط الى الحد المطلوب ان يأمر بعالي صوته بالتوقف الفوري . فلما سمع ف بهذا الامر ، أمسك بالصمام وأداره بكل قوته ... الى اليسار (ان جميع الصمامات بلا استثناء تقفل بإدارتها الى اليمين !) . فكان من نتيجة ذلك ان كل ضغط المركم انتقل فجأة الى المكبس ، مما تعدى مقاومة الانابيب ، فانفجر لحام احدها . لم تكن الحادثة ذات خطورة ، لكنها ارغمتنا على وقف العمل وعلى الانصراف الى

---

٢ ـ المانومتر : مقياس الضغط السائل . ـم ـ

بيوتنا . والغريب في الامر انه عندما تسنى لي بعد زمن غير طويل ان أحادث صديقي ف عن الحادثة ، زعم انه لا يذكر شيئا عن العبارة التي قلتها له يومئذ مازحا ، مع انها انطبعت في ذاكرتي بعد وقوع الحادثة انطباعا راسخا» .

ان حالات من اشباه هذه الحالة قمينة بأن تدخل الريب الى نفوسكم بأنه عندما تتحول ايدي خدامكم في كثير من الاحيان الى أعداء لما لديكم من آنية وأدوات في منزلكم ، فان ذلك ليس مرده الى المصادفة البريئة . بل في مقدوركم ايضا ان تتساءلوا عما اذا كانت المصادفة هي المسؤولة الوحيدة على الدوام عن الأذى الذي ينزله الانسان بنفسه او عن الخطر الذي يعرّض له سلامته . ولعلكم واصلون الى قطع ذلك الشك بيقين والى الاجابة عن هذا التساؤل متى ما قمتم بتحليل ما قد يتجمع لديكم من ملاحظات ومشاهدات .

انني لم استنفد كل ما يمكن ان يقال عن الهفوات . ولا تزال هناك نقاط كثيرة تستدعي الفحص والنقاش . ولكني لن اكون الا مغتبطا فيما لو تأكد لي انني افلحت ، بالنزر اليسير الذي حدثتكم به ، في زعزعة افكاركم القديمة حول الموضوع الذي كنا بصدده، وفي تهيئتكم لتقبل افكار جديدة . أما بخصوص ما تبقى ، فلست اشعر بتبكيت من ضمير اذا تركت الاشياء عند الحد الذي وصلنا بها اليه ، من دون ان أمضي قدما في البحث . فمبادئنا لا تستمد ادلتها وبراهينها كلها من الهفوات وحدها ، ولا شيء يرغمنا على حصر أبحاثنا بحيث لا تتناول سوى المواد التي توفرها لنا هذه الهفوات . والقيمة الكبرى للهفوات عندنا انما تكمن في انها متواترة ذائعة ، وفي ان كل انسان يستطيع ان يلاحظها بسهولة في نفسه ، وفي ان وقوعها ليس مشروطا بالضرورة بحالة مرَضية . وأود ان أذكركم ، في الختام ، بسؤال من اسئلتكم تركته بلا جواب حتى الان : «اذا كان الناس قريبين غاية القرب من فهم الهفوات ، ويتصرفون في كثير من الاحيان كما لو انهم يدركون

معناها ، كما يتضح ذلك من كثير من الامثلة ، فكيف تبدو لهم هذه الظاهرات نفسها ، بصفة عامة ، عرضية وغفلا من الدلالة والاهمية ، ولماذا يبدون ما يبدونه من مقاومة ازاء تفسيرها على ضوء التحليل النفسي ؟» .

انتم على حق: فهذه واقعة تبعث على العجب وتتطلب تفسيرا. لكن بدلا من ان أقدم لكم هذا التفسير جاهزا ، أؤثر أن اتقدم وإياكم في خطوات وئيدة متتالية كيما تتهيأ لكم المقدرة على الوصول اليه بأنفسكم ، من دون حاجة الى معونتي .

الفهرس

مؤلفات سيغموند فرويد

مختصر التحليل النفسي (طبعة ثانية)

مدخل إلى التحليل النفسي (طبعة ثالثة)

محاضرات جديدة في التحليل النفسي (طبعة ثالثة)

خمسة دروس في التحليل النفسي (طبعة ثالثة)

الحلم وتأويله (طبعة خامسة)

الحياة الجنسية(طبعة ثانية)

الكف، العرض، الحصر

الهذيان والأحلام في الفن(طبعة ثالثة)

التحليل النفسي للهستيريا: حالة دورا (طبعة ثانية)

التحليل النفسي للعصاب الوسواسي: رجل الجرذان

الطوطم والحرام (طبعة ثانية)

الأنا والهذا

التحليل النفسي لرهاب الأطفال: هانز الصغير

أفكار لأزمنة الحرب والموت (طبعة ثالثة)

النظرية العامة للأمراض العصابية (طبعة ثانية)

موسى والتوحيد (طبعة رابعة)

مستقبل وهم (طبعة رابعة)

ثلاثة مباحث في نظرية الجنس (طبعة ثالثة)

مطبعة دار الكتب ساحة رياض الصلح بناية اللعازارية تلفون: ٦٤٥٠٣٩ (٠١)

١٥٠٠/٩٥/١١٩٩

مدخل إلى التحليل النفسي

المحاضرات التي ألقاها فرويد في ١٩١٥ ـ ١٩١٧ تحت عنوان **مدخل إلى التحليل النفسي** تؤلف، بلا جدال، أوسع عرض وأشمله للتحليل النفسي مذهباً وعلاجاً.

هذه المحاضرات، علاوة على شمولها، تتسم ببساطتها وسهولتها: فقد ألقاها فرويد ارتجالاً ابتغاء تعريف الجمهور الواسع بمبادىء التحليل النفسي وتقنياته.

وقد اتخذ فرويد، في أربع محاضرات أولى، من «علم نفس الهفوات» مدخلاً إلى هذا المدخل للتحليل النفسي، ثم أعقبها بإحدى عشرة محاضرة عرض فيها «نظرية الأحلام»، ثم بثلاث عشرة محاضرة تناول فيها «النظرية العامة للأمراض العصابية». وفي سنة ١٩٣٢ أخيراً استكمل فرويد في محاضرات سبع ـ كتبها ولم يُلقها ـ كل ما استجد في التحليل النفسي وجعل عنوانها العام «محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي».

وتُقدم دار الطليعة، في هذا الكتاب، الترجمة الكاملة لعددٍ من هذه المحاضرات الخمس والثلاثين الموسوعية.

دارُ الطليعة للطباعة والنشر ـ بيروت